تم تحميل هذا الكتاب
من موقع الملفات الاسلامية
http://islamicfiles.net

النكد

أسبابه وعلاجه



islamicFiles.NeT

بقلم

أ.د/ مبروك عطية

الأستاذ فى جامعة الأزهر

والداعية الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى خلق فأتقن كل شىء خلقه ، والصلاة والسلام على من شهد الأعداء قبل الأحباب بعظيم خلقه ، سيدنا محمد ، وعلى آله ، ورضى عن أصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم يجد فيه كل امرئ ثمرة خلقه بعد أن يعيد الله خلقه

وبعد

فإن موضوع ﴿ النكد أسبابه وعلاجه ﴾ من أهم الموضوعات التى يجب أن يحيط بها الخطاب الدينى هذه الأيام ، فقد طغى علينا نكد عظيم من الداخل والخارج ، في البيت ، وفى الشارع ، وفى العمل ، حتى فى المتنزهات ، والطريق إليها ، وحتى فى دور عبادتنا من نكد من لا علم عنده من الأئمة الذين يعسرون ولا ييسرون ، وينفرون ولا يبشرون

والنكد يعنى الضيق ، والبخل ، والقلة ، والسوء ، وكل ما من شأنه أن يجعل الحياة عسيرة ، والآمال فيها وئيدة ، والخطا فيها رتيبة

والدين دعوة إلى حياة طيبة خالية تماما من النكد ؛ فلا نكد فى الدين ، وإنما النكد من الشياطين ، والنفوس الضعيفة الأمارة بالسوء ، والثقافة

البغيضة الرديئة الموروثة ، الداعية إلى كتمان النعم وهى واضحة ، وكتمان السرور وآيات بدوه ، يقول قائلهم : "افرح فى عبك" ، وإذا ضحك قال : "اللهم اجعله خيرا"

والبخل من النكد بمكان ، والله ـ عز وجل ـ هو الكريم ، ولله در السهيلى إذ حفظ صيغة طيبة فى الصلاة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى : " اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تصعد ولا تنفد ، وتتصل ولا تنفصل ، وتقيم ولا تريم ، وعن الآل والصحب أجمعين ، وعنا معهم إنك أنت المنعم الكريم"

وقد كان سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكرم الناس ، وأجود الناس ، وكان أكرم ما يكون فى رمضان ، "كان أسبق بالخير من الريح المرسلة"

وللنكد أسباب ، وله بلا شك علاج ، فما أسباب النكد ، وما سبل علاجه ؟ وما الآثار السيئة له التى تقضى بلا شك على الأخضر واليابس؟

وقد رأيت أن يكون هذا الكتاب فى ثلاثة فصول :

الأول : براءة الدين من النكد

أقدم فيه الأدلة على أن هذاالدين الحنيف براء تماما من النكد ، بل إنه يعالجه، ويرفعه من كل طريق ، فهو دعوة إلى السعادة لا إلى الشقاء ، قال الله ـ عز وجل ـ :"طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾"

والثانى : النكد أسبابه وعلاجه

أذكر فيه الأسباب الداعية إلى النكد من سوء فهم الدين ، وضعف اليقين ، والدجل ، وغير ذلك .

والثالث : الأثار السيئة للنكد

ومنها الأمراض التى تصيب الناس بسببه ، لا سيما الأمراض النفسية التى لم يكتشفها أحد من علماء الطب النفسي ، أى غير الاكتئاب ، والانطواء ، والأمراض المعروفة ، ومنها الفرار من أهل الذكر الذين يسيئون إلى الناس ، وينكدون عليهم ، وغير ذلك.

وأرانى بذلك قد وفيته حقه بغية أن يعلم القارئ أن ديننا الحنيف يسد أبواب النكد جميعها ، ويسعى إلى علاج من أصيب بشىء منه من مصادره ، فهو دين يرعى الصغار ويرحمهم ، ولا يكلفهم حتى يبلغوا ويدركوا ، وساعتها يكون كل منهم قد أخذ حظه من الرفاهية والسعادة والسعة دون كدر ، فالصبى وكذا الصبية يؤمر للصلاة وهو ابن سبع ويضرب عليها ضربا خفيفا وهو ابن عشر ، حتى يعتادها ؛ فإذا بلغ كان من المقيمين لها دون مشقة ، ودون عناء ، وقد كان صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالصغار ، وفى الحديث : "ليس منا من لم يرحم صغارنا"

ونحن نرى أطفالا يولدون مع النكد ، ويتربون فى مراتعه السيئة ، فهم يعاملون بقسوة ، وعنف وضرب فظيع ، ونحملهم ما لا يطيقون .

وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى الدار والمرأة والفرس ثالوث الشؤم الذى يجلب النكد ، وشؤم الدار فى ضيقها وسوء جيرانها ، وشؤم المرأة فى سوء خلقها ، وشؤم الدابة (أو السيارة) فى تعطلها وتمردها ، ومن أجل ذلك كان الإصلاح والتهذيب ، والدعوة إلى الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، وإلى استقامة الدابة .

أعد الصديق - رضى الله عنه - راحلتين من أجل الهجرة الغراء ، وكان عبد الله بن أريقط - وهو مشرك - دليل الرحلة ؛ لأنه الخريت (أى الخبير الكبير بالطرق) ، وقد تكون الدابة أو الراحلة عفية ولكنها لا تبلغ المراد من سوء الدليل ، فانظر إلى الاستعداد التام لكى تكون الرحلة بلا نكد .

وقس على ذلك كل أمر من الأمور المهمة التى لا غنى للإنسان عنها ، كيف يعد لها العدة البعيدة عن النكد ، ذلك الداء العضال الذى يصيب بدن السليم فيمرضه ، ويحل بالأرض العامرة فيخربها.

وأود أن أقول فى هذا التقديم للقارئ الكريم إن كل من يذهب نكدا عن إنسان حتى ولو كان مشركا بالله رب العالمين ، ألا ترى إلى قول الله عز وجل :

"وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾" ،

ولا شك أن الإجارة من أجار فلان فلانا من علاج النكد الذى يكمن فى الخوف والشعور بالهلكة ، إن كل من يذهب النكد عن الناس إنما يتقرب إلى الله عز وجل بهذا العمل العظيم الذى هو من العبادات غير المعروفة لدى كثير

من الناس ، ألا ترى إلى قول ربنا تعالى : "فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾"

فالذى لا يقهر اليتيم ولا ينهر المسكين إنما يذهب عنهما نكدا عظيما ، وكذا الذى يتحدث بالنعمة ، زادنا الله منها ، ولا حرمنا نعمة التحدث بها الذى هو لسان السعادة تنطلق من فؤاد المتحدث إلى أسماع الناس

هذا ، ومن الله العون والتوفيق فهو ولى ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

أ.د / مبروك عطية

الفصل الأول

براءة الإسلام من النكد

"والذى خبث لا يخرج إلا نكدا"

معنى النكد

يقول الله ـ تعالى ـ في سورة الأعراف الأية (٥٨) :"وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾"

وفى تفسير "نكدا" يقول فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير ١٥٧/١٣ : " النكد : العسر الممتنع من إعطاء الخير على جهة البخل ، ومعناه : والبلد الخبيث لايخرج نباته إلا نكدا"

أى أن البلد الخبيث يخرج نباته قليلا شحيحا ، أو يكون كثيرا ، ولكنه يسبب النكد ، وهو الشؤم ، كما ذكر ابن منظور فى لسان العرب مادة " ن ك د " وعلى ما قاله المفسرون ، ومنهم الرازى فى الموضع السابق إن المعنى على " ذا نكد " ، وكم من كثير يكون ذا نكد ، والأصل فى النكد قلة العطاء ، وأول ما ذكره ابن منظور فى مادة النكد : الشؤم واللؤم ، والشؤم : المشقة لا الذى يعرفه الناس من التشاؤم.

وقد ورد فى الصحيح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : "إنما الشؤم فى ثلاثة : المرأة ، والدار، والدابة" ، والدابة قد تكون ناقة أو فرسا أوسيارة .

والمرأة تكون نكدا على زوجها بسوء خلقها ، وبذاءة لسانها ، هكذا قال العلماء فى معنى شؤمها ،،

وللأمانة أقول إن الرجل قد يكون كذلك على زوجته ، وولده ، وقومه ، فكم من النساء بلغة المعاصرة تريد أن تعيش ، لكن زوجها يكدر عليها صفوها ، ويحرمها أقل ما لها من حقوق ، وكذا يحرم ولده ، ويضيق عليه ، وإن ادعى أنه بذلك يحرص على أن يجعل منه رجلا قويا صلبا ، والإسلام يدعو الزوج الذى يلحظ فى زوجته مقدمة من مقدمات النشوز ، الذى هو قمة النكد ، قال تعالى "وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾".

ونحن نلحظ أن الإسلام دعوة إلى القضاء على النكد من أول بادرة له ، أى قبل أن يكبر ، ويتضخم ، ويغرز سمومه فى الناس .

والموعظة فى دين الله لها لقب لا ينفك عنها ، وهو كونها حسنة ، "ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ " ، حتى فى الجدال الذى يتبادر إلى الأذهان عند إطلاقه العنت والمعاناة ، قال سبحانه : "وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ".

لكن بعض الناس يحبون الموعظة النكد ، التى هى شؤم ووعيد ، وعسر لا يسر ، ومشقة لا عون ، ومن يراجع جملة من كتب التفسير عند هذه الآية من سورة النساء يجد أمثلة المفسرين تنحصر فى قول الرجل لزوجته : "اتق الله ، إن لى عليك حقا" ، فما بال أناس ، يعظون زوجاتهم بالساعات ، بل إن بعضهم يأتى امرأته بأشرطة كاسيت ، وكتب فى حق الزوج على زوجته ، الأمر الذى لا تطيقه هى ، ولا حتى هو ، يحتاج إلى وقت طويل ، وعناء ، وخلاصته فيما ذكره

المفسرون ، فإذا كانت الموعظة تحتاج إلى عمر طويل فمن ذا الذى يمنحنا أعمار لكى نعمل بها .

ومن الثابت أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتخول صحابته بالموعظة خشية السآمة عليهم ، وهو من فصاحة فى اللسان ، وصحة فى جنان ، أو فى جوامع الكلم ، وهو بالمؤمنين الرءوف الرحيم ، صوته جميل ، وكلماته فصل ، لا يسرد الكلام كما نسرده كما ورد فى حديث عائشة المروى فى الصحاح ،ونصه :"ما كان رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ يسرد الكلام كسردكم ، وإنما كان يقول الفصل الذى يحفظه من يسمعه" ، فما عسى أن يكون الحال مع من دونه فصاحة وجمالا ، أليس هذا من النكد!

الإسلام برىء من صناع النكد

أول دليل على أن الإسلام برىء من صناع النكد قول الله ربنا فى صدر صورة طه

"طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ "

، ومادام ربنا لم ينزل القرآن شقاء لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا لأمته فقد أنزله سعادة للجميع ، والناس هم الذين يصنعون النكد بأيديهم ، وأفواههم ، وقلوبهم لموروث عاداتهم السيئة ، وثقافتهم الخاطئة .

ومن الأدلة على أن الإسلام برىء من صناعة النكد قول الله ـعز وجل ـ :

"وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ".

ولكن الناس هم الذين يشاقون على أنفسهم وعلى غيرهم ، ويتشددون ، ويريدون أن يحكموا على الناس بالكفر والفسوق ، وأنهم جميعا إلى جهنم ذاهبون.

ومن الأدلة كذلك قول الله ـ سبحانه ـ : "يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ" ، وهو عز وجل القائل : "وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ" ، اى بمقدوره سبحانه أن يشق علينا ، وأن يكلفنا فوق طاقتنا ، ولكنه من رحمته اراد بنا اليسر ، لا العسر ، والسعادة لا الشقاء .

ومن رحمته بنا سخر لنا كل شىء ، كما قال تعالى : "وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾"

وسخر لنا الأنهار والبحار ، والفلك التى تجرى فيها بما ينفعنا ، وسخر لنا الشمس والقمر دائبين وسخر لنا الليل والنهار ، ونعمه ـ عز وجل ـ لا تحصى ، قال فى ايتين من سورة إبراهيم وسورة النحل :"وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ" فأى نكد يمكن أن يخترق ما لا يحصى من النعم ،،

ومن الأدلة كذلك على أن الإسلام برىء من النكد ، وصناعه قول الله ـ عز وجل ـ : "فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ".

ومن الأدلة من السنة النبوية الصحيحة على ذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، وأن رجلا جاءه ، وقد وقع على امرأته التى ظاهر منها ، وكان قد سأل بعض أقاربه أن يصحبه إليه فامتنعوا لأنهم توقعوا أن يقول له ـ صلى الله عليه وسلم ـ قولا عظيما ، فذهب إليه وحده ، وأخبره بما كان منه ، فقال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "عليك عتق رقبة ، فأشار بيده إلى رقبته وقال : والذى بعثك بالحق لا أملك الا هذه ؛ فقال له : صم ستين يوما ؛ فقال : وهل كان ما كان منى إلا بسبب الصوم ، لا أستطيع ،

فقال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أطعم ستين مسكينا ؛ فقال لا أجد ؛ فقال له : انتظر ، حتى جاءه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمر ، فناداه ، وأعطاه إياه ، وقال :أطعم به ستين مسكينا ؛ فقال :والله يارسول الله ما فى المدينة بيت أفقر من بيتى ؛ فقال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أطعمه أهلك ، فعاد إلى قومه الذين امتنعوا أن يصحبوه إلى خير خلق الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال لهم : لقد وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ، ووجدت عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السعة وحسن الرأى".

وقد قال عليه الصلاة والسلام : "بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا" ، ونسب إلى الأمة بعثتهم بذلك ، فقال : " إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" ، وروى مسلم فى صحيحه من حديث أنس رضى الله عنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : "إن الله يعذب من يعذب الناس" ، وقد يكون العذاب البدنى بالجلد ، والضرب والجرح أهون بكثير من العذاب المعنوى ، الذى يقتل معنويات المرء ، ويشعره بفقد انتمائه إلى الكرامة والاحترام ، والآدمية.

لقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى ذر الغفارى رضى الله عنه : "إنك امرؤ فيك جاهلية" ؛ لأنه عير رجلا بأمه ؛ فقال له : يا ابن السوداء ، فما عسى أن يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيمن يقول لأخيه : يا ابن كذا ... وكذا ، وأبوك كذا ، وعائلتك كذا ، وأنت من جنس كذا ، وضع مكان قول كذا كل ما تعرف من سماعك من أول الكلب والحمار ، والخنزير ، وسائر الأوصاف الناطقة بالفحش ، لا شك أن فى هؤلاء ما هو فوق الجاهلية ، فضلا عن ارتكابهم الحرام من السب واللعن ، والمسلم كما قال عليه الصلاة والسلام : "ليس بسباب ولا لعان ولا فاحش ولا بذىء"

هذه أهم الأدلة على براءة الإسلام من النكد ، وسوف نوضح صوره ، وسلوك صناعه فيما يأتى إن شاء الله.

الحديث عن السوء

ما زلت أتدبر من زمن طويل قول يوسف لأبيه عليهما السلام :

" وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ "

حيث وقفت عند قوله عز وجل : " وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ" ، كيف حدثه عن فضل الله عليه إذ أخرجه من السجن ، ولم يحدثه عن دخوله فيه ، وما عاناه بلا شك بضع سنين : "فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢" إن كثيرا من الناس إذا حدثوا عن خير أصابهم ، وفضل من الله أتاهم ، ذكروا من المآسى الكثير الذى ينسى من سمعهم ما ذكروه من هذا الخير ، انظر إلى رجل غير يوسف عليه السلام يحدث أباه عما جرى له قبل دخوله السجن ، وعما عاناه فيه ، خصوصا إذا دخله بريئا دون ذنب جناه ، وعما لقيه من السجان ، سنة سنة ، بل يوما يوما ، ألا ترى أن ذلك من صناعة النكد ؟ ، لقد من الله تعالى عليه بالخروج فما الداعى إلى ذكر تفاصيل مؤلمة منغصة.

إن أما تقدم الغداء أو العشاء لأولادها ، فتذكر لهم تفاصيل موجعة من أول ما خرجت من البيت ، وكادت رجلها تنكسر إثر وقعة بالسلم ، وتحاملت رغم الألم الشديد ، وذهبت إلى السوق ، وتفحصت المعروض من الخضر ، هذا بائع عرض

عرضا خبيثا بسعر مرتفع ، فدبت بينها وبينه معركة ، حتى قال لها : رضى الله عنك ، امش فى حال سبيلك ، ولا تفسدى علينا سوقنا ، فأبت إلا أن تقول له : يا ظالم يا مفتر ، يا غاش ، فعل الله بك وفعل ، ثم ذهبت إلى غيره ، وتحاملت ، وبطلوع الروح حصلت على ما لابد من شرائه ، وعادت وهى مكتئبة ، وأنسيت وهى فى خضم ذلك أن تأتى بالبصل ، فنادت جارتها أن أعيرينى حبة أو حبتين ، فأنكرت ، وأقسمت بالله العلى العظيم ، وبكل غال أن بيتها ليس فيه بصلة ، ولا ثومة منذ أيام ، فقالت لها : حرام عليك ، إن رائحة البصل تنبعث من بيتك ، فقالت : أنت لا تشمين جيدا ، هذه رائحة الريحان ، قالت : يا فلانة عيب عليك ، هل لرائحة الريحان شبه برائحة البصل ، ولم تجد بدا من الذهاب مرة أخرى إلى السوق ، ووجدت البصل كله هنالك فاسدا ، إلا أنها أدركت بائعا للبصل على عربة (كارو) ، فنادته فلم يسمع ، فجرت وراءه حتى انقطعت أنفاسها وأدركته ، واشترت منه ، وعادت وحين همت بإعداد هذا الطعام فرغت الأنبوبة ، فقالت : مال هذا النهار يبدو من أوله نهار نحس ، واستعاذت بالله ، واستغفرت ، وظلت تضرب كفا بكف ، وتقول : يا رب يا إلهى ماذا أصنع ماذا أفعل ؟ حتى سمعت صوت بائع الأنابيب ، فقالت : أحمدك يا رب ، ونادته ، وغيرت الأنبوبة الفارغة ، ولم يكن معها إلا خمسون جنيها ، والرجل يريد عشرين ، قال : ليس معى صرف ، فقالت له : وليس معى إلا هذه ، انزل وفك من البقال ؛ فغضب ، وقال هاتى يا سيدتى ، قالت : ومن يضمن لى رجوعك بالباقى ، فازداد غضبا ، وقال : ما أريد شيئا منك ، وهم بالمضى ، وهو يقول : (ناس فظاع) ، فنادته ونزلت معه لكى تصرف الخمسين ، ومن سوء حظها نسيت أن تأخذ مفاتيحها ، فعادت بالثلاثين ، ووقفت بباب الشقة لا تدرى ماذا تفعل ، حتى هداها الله إلى أن تنزل مرة أخرى

إلى البقال وتهاتف من عنده ابنتها المتزوجة ، لكى تدركها بنسخة المفتاح التى معها ، وظلت تحاورها ، فالبنت مشغولة هى الأخرى بإعداد الطعام لزوجها وولدها الذى فى المدرسة ، لعنتها ولعنت اليوم الذى حملت فيه بها ، وفى نهاية الأمر جاءتها ، وفتحت لها الباب ، وانصرفت وهى تقول يا رب سترك ، فقد تركت قدورها على الموقد ، ودخلت وطبخت وذاقت المر لكى تعد لهم تلك الوجبة ، ترى هل تراهم يسعدون بتناولها ؟؟

من أجل ذلك أقول : نحن نقدم الحياة على طبق الموت ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقدم الحياة على طبق الحياة ،،

ومن ذلك أن قوما ينتظرون قادما فى المطار ، ليرحبوا به ضيفا عزيزا عليهم ، وجرت العادة أن يقولوا له : حمدا لله على سلامتكم ، كيف كانت رحلتكم ؟ فإن لم يكن القادم من صناع النكد قال : خيرا لقيت والحمد لله ، وإن كان من صناع النكد حكى لهم مثل هذه المرأة من أول خروجه من منزله ، وتعلق أطفاله به وزوجته ، وركوبه التاكسى العكر ، وسوء خلق صاحبه ، وما لقيه فى مطار بلاده من تعقيدات وعن تأخر الرحلة ساعات ، ومن سوء الطيارة ، والمضيفة ، وعن المطبات الهوائية العنيفة ، وما حدث من هلع بعض الركاب ، وأصابه ، وما لقيه فى مطار الوصول ، ثم يقول حتى أتيناكم الحمد لله ، وذلك بعد أن صدع الناس وأزهق فرحتهم بلقائه ، وسعادتهم بوجوده

وقد قال الله عز وجل : "إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾"

ولا شك أن السبيل إلى نصر الله فيه بذل النفس والمال ، ودخول الناس فى دين الله فيه من الجهاد فى نشر الدعوة ما فيه ، من فهم الدين ، واستيعاب أدلته ، ومبادئه ، فانظر إلى خلاصة ذلك فيما ذكره ربنا عز وجل من قوله " فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا" ، فما لقيته من جهد تحتسبه عند الله عز وجل وهو مطلع عليه ؛ لأنه سبحانه بصير بما نعمل ، ومجازينا عليه ، فما معنى أن تذكر للناس ما لقيت من أجل أن ينصرك ربك ؟ أو تذكر لهم تفاصيل جهادك من أجل لقمة قدمتها لهم ، ومن أجل بيت أسكنتهم فيه ؟

إن كثيرا من الناس لا يمل من ذكر تلك التفاصيل السيئة التى كما أقول تنغص الإحساس بالنعمة ، وإذا نغصت النعمة فلا لذة بها ، ولا استمتاع ، والأصل فى النعم أن يتلذذ بها ويستمتع المنعم عليه !

حديث السوء

ذكرت حديث السوء من جانب الذى لقيه ، ودلالته على صناعة النكد ، وهناك حديث السوء من أحد معارفه ، من أهله أو من رفاقه ،،

فهذه أم كذلك كلما وضعت طعاما لزوجها وأولادها ذكرت ابنا لها مسافرا ، فقالت : نحن هنا ، نأكل ونشرب ، ويا عالم فلان هل يجد ما يأكله الآن مثلنا ؟ ، من يعد له طعاما (يا كبدى) ، وهذا الطعام الذى يحبه ولا يعرف كيف يعده ، من هنالك يعده له ، قلبى عليه مشغول ، مسكين يا ولدى ، ترون هل أكل الليلة شيئا ؟ أم تراه لم يأكل منذ ثلاث ، ثم توجه إليهم اللوم قائلة : اسالوا عن أخيكم ، اتصل به يا فلان ، هل نسيت أليس هذا الجهاز الذى تحمله وتتباهى به بين زملائك من أخيك المسكين المسافر؟ وأنت يا فلان تراك غير راض عنه ، لأنه لم

يأتك بمحمول مثل الذى فى يد أخيك فلان ، إن شاء الله يأتيك بأفضل منه فى الإجازة القادمة ، ولكن اسأل عنه ، وحنن قلبه عليك ، ثم تتجه بالكلام إلى صاحبها قائلة له : وأنت ألا تسأل عن ابنك ، هذا المسكين ، يا رجل حرام عليك ، إنه ابنك البكرى ، وأول فرحتك بالدنيا من الأولاد ، إنى على يقين أنه آخذ على خاطره منك ، فمنذ كلمنى الأسبوع قبل الماضى وأنا على يقين من هذا ، فقد قال لى : أمى أناشدك بالله ،هل فى نفس أبى شىء منى ؟ لماذا لا يكلمنى ، قلت : لا إن أباك يحبك وعزيز عليه غربتك ، وهو مشغول يا ولدى ، فحمله ثقيل وهمه أثقل ، قلت له ذلك كى أهون عليه ، حتى صوته لم يعجبنى ، يبدو أن به مرضا ، لكنه لا يريد أن يقول لى حتى لا يؤلمنى ، نعم نعم ، أنا أعرف ولدى من صوته ، وصوته فيه ضعف ، طبعا لا أكل (زى الناس) ولا شرب ، ولا رعاية ، عمل ليل نهار ، وجهاد وغربة .

ترى هل يشعر أحد من الحضور بنعيم اللقمة ولذة الشربة مع هذا النكد العظيم ، تحكى المآسى بلا دليل ، وقد يكون ابنها فى عيش رغد وحياة ناعمة ، وإن غاب عنه صنف من المحاشي ففى البلد التى هو فيها صنوف ، وكما قال الشهاب الخفاجى : من كان أصله من تراب فكل الناس أقاربه ، وفى كل قوم أوس وخزرج ، ومن عمود إلى عمود يأتى الله بالفرج .

لكنها صناعة النكد ، مدرسة أساسها إثارة الغضب ، واستفزاز النفس ، وبث روح الفزع فى القلوب ، خاصة عند حضور الطعام والشراب .

وأذكر من ذلك أيضا حديث الأم لزوجها باختصار شديد ، حيث غضبت ابنتها بسبب لطمة خفيفة كانت من زوجها ، وجاء الزوج معتذرا ، وقبلت ابنتها اعتذاره ، وعادت معه إلى بيتها ، ومرت ليلة وليلتان ، فقالت : يا رجل الا تذهب

إلى ابنتك ، لترى ماذا فعل فيها زوجها ، تراه فقأ لها عينا ، أو كسر لها ضلعا ، أو قتلها ورماها فى مكان بعيد ، البنت لا حس ولا خبر !

انظر إلى حديث السوء ، فقأ لها عينا ، أو قتلها ، والبنت لا حس ولا خبر ؛ لأنها سعيدة قريرة العين ، اعتدل الزوج ، وعادت معه برضاها ، وإذا كانت قد تركت له المنزل بسبب لطمة خفيفة ألا تترك له البيت ، والحى والمدينة بسبب عينها التى فقأ ؟ ، اللهم إلا إذا كان حقا قد قتلها ، كما تقول المبالغة فى حديث السوء .

وتلك أخرى أرسلت طفلها الصغير إلى البقال كعادة الناس فى إرسال الصبيان لشراء الحاجات ، فلما تأخر قليلا هبت فى وجه أخيه الكبير قائلة له : قم وانظر أخاك ، لعل سيارة دهمته ، أو امرأة سوء خطفته ، يقولون : إن عصابة تخطف الأطفال هذه الأيام ، وقبل أن ينطلق الفتى لينظر أخاه ، جاء أخوه وما من سيارة دهمته ، ولا امرأة خطفته ، لكنها صناعة النكد ، وإذا كانت على علم بأن ابنها الصغير معرض لدهم السيارات ، أو خطف نساء السوء فلماذا أرسلته ابتداء ؟ وأراحت نفسها ومن حولها لو أمسكته ، وأرسلت الكبير الواعى الذى يبصر من بعيد خطر السيارات ، ولا تستطيع امرأة من عصابة خطف الأطفال أن تخطفه ناهيك بأمة من الناس إذا غضبت أفحشت فى ذم المغضوب عليه .

خطب شاب فتاة على غير هوى أهله الذين وافقوه على مضض ، وذهبوا معه إلى بيت الفتاة ، وأكلوا عند أهلها ، وشربوا ، ورحب الناس بهم أيما ترحيب ، ثم عادوا ليقولوا : أهذا رجل تصاهره ؟ إنه مؤهل متوسط ، وقصير القامة ، لا يشرفك فى مجلسك ، ولا يزين رفاقك ، وتقول أمه : ولم ينظر كذلك إلى أمها ، بلدى على الآخر ، وذوقها أعوذ بالله ، وطعامها الذى لا يؤكل ، حتى الفتاة نفسها ما هى بحسناء بارعة الجمال ، كما وصفت لنا ، طبعا مرآة الحب عمياء ، تراها سحرتك

، أنا أحلف بالله أن أمها سحرتك ، وعملت من أجل أن تأخذ ابنتها أعمالا ، لو تزوجت ابنتها لسحرتك من جديد حتى تكرهنا ، أو يا عالم ربما قتلتنا ، أعوذ بالله من هذا البيت ، كئيب ، وجدرانه كالحة ، وأثاثه بال ، وكا ما فيه يبعث على ضيق الصدر والنفس ، كيف قبلت هذا ، وكيف ترضى به ، ثم إن هذه الفتاة لها سنام فى ظهرها ، وزرقاء ، وأنت تقول بيضاء ، ترى أصابك عمى الألوان ، ولها ضب فى أسنانها ، وأخسر دينى إن لم تكن فوق الثلاثين ، ومع ذلك تدعى أنها بنت خمسة وعشرين.

استقلال النعمة

من المعهود عن سيد الوجود سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذى لا يعرفه كثير من الناس أنه كان يعظم النعمة وإن دقت ، أى وإن بدت قليلة ضئيلة ، دخل يوما ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أهله ، كما روى البخارى فى صحيحه ، فسأل عن طعام ؛ فقيل له : ليس عندنا إلا الخل ؛ فقال : نعم الإدام الخل .

وقد روى الواقدى مغازيه أن رجلا أهداه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قثاء صغيرة ؛ ففرح بها ، وأكل منها ، وأخذ يريه أنها تحفة ، وأرسل ببعضها إلى زوجه أم سلمة – رضى الله عنها – فأكلت منها ، وهذا شأن من تدبر قول الله عز وجل :

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ ، أى يفرحون بالنعمة وإن دقت ، ويفرحون بهدية من أهدى إليهم ، ويعرفونه بأنها تحفة ، قال الفلاح القديم العائد من عناء يوم طويل إلى داره فى المساء وسأل زوجته : ما عشاؤنا الليلة ؟ فقالت : بيصارة ، فقال : الله ، أوحشتنا ، سترك الله ، وبارك فيك هيا هيا .

واليوم يدخل الشاب على زوجته ويسألها السؤال نفسه فتقول فاصوليا باللحم ، وميكرونة ، وطبق كوسة من أمس وجبن ، وبيض إذا أردت ، فلا يهش ولا يبش ، بل يذم ، ويشتم ، وعلى لسانه كلما ذكرت له نعمة لفظ "قرف ، وزفت ، وآ ، وأى" ، وذلك ينصب عليه هو ؛ لأنه نابع من قلب هواء ، لا من قلب مسلم يتبع أشرف الخلق محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

غره أن فى جيبه بعض مال ، وأن فى يده محمولا ، يهاتف به محلا من محال الطعام ، فيأتيه مندوبه بشىء هو بلا شك دون ما ذكرت زوجته ، ما جرب الجوع ، ولو جربه لحمد وشكر ، وسجد لله الذى أطعمه وسقاه ، ووفر له قوته ، وزوجة تخدمه ، وأهلا يبرونه ، ويحسنون إليه .

وصدق أو لاتصدق أن هناك من هو دونه مالا وقدرة على الاتصال بمحال الأطعمة ، ويسلك هذا السلوك ، كأن الأول يريد أن يفقره الله ، وكأن الثانى يريد أن يزيده الله حرمانا ؛ لأن الله ـ عز وجل ـ يقول : "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾"

فليس المال فى كل حال سببا لجحود النعمة ، وقد رأينا بفضل الله أغنياء ، يملكون الكثير من الأموال السائلة وغير السائلة يفرحون بالنعمة ، ويواكلون عمالهم ، ويشاركونهم أكلاتهم المتواضعة وهم سعداء ، والذى لايعرفهم يقول هم من هؤلاء ، لما يرى من بساطتهم ، وتواضعهم ، وفرحهم باليسير من النعم ، وما هو فى الحقيقة بيسير؛ فقد روى أن أحد العلماء أراد أن يعلم ملكا من الملوك درسا فى هذا السياق سياق النعم ، فلما سأل الملك كوب ماء ، قال له العلامة أرأيت لو أن هذا الكوب منع منك حتى تدفع نصف مملكتك أوتراك تفعل ؟ ، قال الملك : نعم ، قال : أرأيت لو رفعته إلى فمك ، فلم تستطيع شربه حتى

تدفع نصفها الآخر ، أوتراك تفعل ؟ قال : نعم ، قال : أرأيت أيها الملك أن مملكتك جميعا لا تعدل كوب ماء من ملك الله ـ عز وجل ـ ، نعم إن جاحد النعمة الذى يستقلها من صناع النكد ؛ لأنه ينكد على النعمة ذاتها وفقا لما ذكره الشهاب الخفاجى فى حاشيته على تفسير البيضاوى ، حيث قال : إن للنعمة لسانا تخاطب به ربها ، نعمة : اللهم أبقنى فى بيت فلان ؛ فإنه إذا رأنى فرح بى ، وشكرك على ، وتقول أخرى : اللهم أنزعنى من بيت فلان ؛ فإنه كلما رأنى لم يفرح بى ، ولم يشكرك على ، ويكدر عليه صفوه ، وعلى من أعد له تلك النعمة ، لأنه من صناع النكد ، والإسلام برىء من صناعة الكد ؛ لأنه دعوة إلى السعادة .

الخبث مصدر النكد

وكما قال الله ـ تعالى ـ : "وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا"

أقول : إن الخبث هو المصدر الأساس للنكد ، ومن الأدلة على ذلك قول الله ـ تعالى ـ : "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾"

وفى هذا البيان القرآنى نجد الكلمة الطيبة ، التى أولها كلمة التوحيد ، ولا نهاية لها نصحا وإرشادا ، وأدبا ، نثرا وشعرا ، وقد يتبادر إلى أذهان كثير من الناس أن الكلمة شىء قليل وهى سر الوجود الذى خلقه الله بكلمة "كن" ،

قال سبحانه : "إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾" ، وقال فى عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ : "إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ" ، والمرء يدخل فى دين الله بكلمة ، ويخرج منه بكلمة والعياذ بالله ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقومه حين جمعهم عند جبل الصفا : "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" ، وقال تعالى : "يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾"

ويتزوج المرء بكلمة ويطلق كذلك بكلمة

والكلمة الطيبة تبعث فى نفس المتلقى حياة ، والكلمة الخبيثة ترسل إلى نفسه الموت ، وشتان بين الموت الذى هو عدم ، والحياة التى هى وجود ، لقد رأيت أناسا عبر التاريخ الطويل أثرت فيهم الكلمة ؛ فغيرت من مسار حياتهم ، ألا ترى إلى قول معاوية : لقد هممت أن أفر من القتال ما ثبتنى إلا قول عمرو بن الإطنابة

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى

وقد رفع الله الحرج من المعذورين بشرط أن ينصحوا لله ورسوله ، قال عز وجل : "لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾"

أى أن المرضى والضعفاء والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون لهم عذرهم فى التخلف عن الجهاد ، وذلك بشرط أن ينصحوا لله ورسوله ، وكما قال الشاعر من قديم :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

إن بوسع المعذور من هؤلاء أن ينصح للجنود الأقوياء بأن النصر حليفهم ؛ فالله معهم ، وهم مجاهدون فى سبيله ، فإن ماتوا كانوا شهداء ، والشهداء عند ربهم أحياء ، وإن عادوا منتصرين عادوا بالغنيمة وهم لها أهل ، وقد أحلها الله لهم ، ما أحلت لقوم قبلهم ، يبشرهم ويقويهم ، ويرفع – كما نقول – من روحهم المعنوية وبوسعه كذلك أن يفت فى أعضائهم بسم الكلمات ، فيرعبهم ، ويخوفهم ، ويبكيهم ، ويقول : خسارة ، تلك القوى أن تضيع ، وخسارة هذا الشباب أن يموت ، وقد قال الله تعالى فى سياق منه على المؤمنين إذ ثبط المنافقين ، فلم يخرجوا معهم : "لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾"

فتأمل قول الله تعالى : "وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ" ، ومن يسمع الخبال لم يزدد إلا جبنا وفرارا ، فليس كل الناس كهؤلاء الذين قال الله فيهم فى سورة آل عمران : "ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ۚ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾" ، وذلك من أقوى الأدلة على أن الكلمة الطيبة سلاح بناء ، وأن الخبيثة مصدر النكد ؛ لأنها سلاح هدم .

من كلمة اللسان إلى كلمة اليد

إذا كان للسان كلمة ، هو لابد قائلها ، طيبة إن كان القائل طيبا وخبيثة إن كان القائل خبيثا فإن لليد كلمة هى الأخرى تتمثل فى العطاء ، كما أن كلمة اللسان تتمثل فى الحروف والألفاظ وما تحتها من معان .

وقد أمر الله عز وجل رسوله أن يذكر فى كتابه الكريم نفرا سماهم بأسمائهم من هذا المنطلق ، منطلق الأيدى المعطية ، فقال عز من قائل : "وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾"

وأولو الأيدى أى الكرام الذين يعطون ، يفسره النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : "الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم" .

وقد أمرنا الله ـ عز وجل ـ باتباع ملة إبراهيم ومن اتباع ملته ـ عليه السلام ـ أن نكون كراما ، والنبى سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أكرم الناس ، وأجود الناس ، وكان أكرم ما يكون فى رمضان ، كان عليه الصلاة والسلام لا يقول لسائل : لا ، إن وجد عنده حاجته أعطاه ، والا قال له : ابتع على ، أى اشتر حاجتك ، والحساب عندى ، فأى كرم هذا الذى يصحبنا معناه حديث البخارى أن لو كان عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل أحد ذهبا ما تمنى أن يمر عليه أكثر من ثلاث ليال ، ينفقه جميعه فى سبيل الله ، لا يبقى منه على شىء إلا درهما يرصده لدين ، فسداد الدين من خلق الإسلام ،،

وقد روى فى البخارى كذلك قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : "مطل الغنى ظلم" وأنا أقول إنه من النكد ، فالظلم آية من آيات النكد لأنه من أقوى أسبابه .

خصوصا إذا كان المدين غنيا ، فما الذى يمنعه من سداد ما عليه ، وهو قادر على سداده ، ما يمنعه من ذلك إلا أنه من صناع النكد ، يريد أن يرى دائنه يتقطع أمامه ، كهذا الأب الشاب الغبى ، وامرأته الغبية ، اللذين يريان فى تقطع الطفل سعادة ، وهو يصرخ ، ويضرب الأرض بقدميه ، ويخدش وجهه من أجل شىء تافه فى يد أحدهما ، هذا من صناعة النكد فى البيوت ، ومن سوء تربية الأطفال ، حيث إننا نعلم أن الطفل لا صبر عنده فهو جزع ، فبدل أن نسعفه ، ونلبى حاجته فى أسرع وقت ومن أيسر طريق نتركه ليمارس الضجر أمام أعيننا ويفعل المنكرات ، ويصيح ، ويصرخ ، وينفطر ، وبعد ذلك كله يقال له : معلش ، خذ يا حبيبى ،،

فأى حب هذا الذى يؤتى من ثماره شيئا بعد طول عناء ! وأية رحمة به هذه التى تأتى بعد أن جف حلقه ، وانفطر ، وانفلق كبده ، وكان بوسعنا أن نسعفه قبل أن تحدث له تلك الكوارث ، كذلك مطل الغنى ، كان ظلما كما قال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه كان قادرا على أن يسد ما عليه فى سهولة ويسر ؛ لأنه لا ضرورة تمنعه من سداد ما عليه ، لكن انظر إلى هذا الحوار الذى أعده بمثابة الطرح لشجرة النكد ، حيث يقول الغنى لدائنه :

- نعم
- الدين
- أى دين ؟

- كذا
- وهل تظن أن هذا دين
- عفوا ، قد أكون أخطأت التعبير
- طبعا ، أخطأت ، ومتى تتعلم ؟ إنك لن تتعلم أبدا ، فمثلك سيء الأدب ، وكم لك عندنا يا أستاذ ؟
- الألف !
- وهل تظن أن الألف هذه مال !
- هي عندي ـ زادك الله ـ مال كثير
- حاضر ، مر علينا بعد شهرين ، أو بعد شهر
- لا أستطيع يا سيدي ، أرجوك
- ما رأيك ، والله لن أعطيك إلا بعد ثلاثة أشهر لسوء أدبك ؟

فمن فيهما سيء الأدب ؟

البخل من أساسيات صناعة النكد

اختار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقوم سيدا غير سيدهم الذي كان بخيلا ، وقال : وأي داء أدوأ من البخل ، والله ـ عز وجل ـ يقول في خاتمة سورة محمد :

"هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾"

وكفى بقوله تعالى ـ :"وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ "ذما للبخل ، والبخيل عدو نفسه قبل أن يكون عدوا لمن حوله ، الذين يقتلونهم ببخلهم ، روى الجاحظ في كتابه البخلاء ، أن أحدهم حاول أهله معه أن يشترى لهم حلوى بدرهم سنين طويلة ، وفي اليوم الذي نوى فيه أن يشترى لهم حلوى بدرهم ، أخذ الدرهم ومضى إلى السوق فشاهد حاويا ، والناس عنده ، يلتفون حوله ، وكان يضع العقرب حول رقبته ، فقال ذلك البخيل : هذه الرسالة من الله ، موجهة إلى ، فهذا رجل يعرض نفسه للموت من أجل درهم ، وأنا في لحظة واحدة ، ومن أجل قطعة من الحلوى أنفقه بسهولة ! والله لن أشترى وعاد ، وحكى ذلك لأهله ، فكظموا غيظهم كما كظموه من قبل ،،

ومات ذلك البخيل ، وكان له ولد يعيش في بلد أخرى ، فجاء من أجل أن يشهد دفن أبيه ، فلما دفنه عاد إلى بيته ؛ فقدموا له طبقا فيه قطعة جبن فيها بحر ، أي مشقوقة فسأل عن ذلك ، فقيل له : هذا أثر أبيك ، كان يمسها باللقمة ، حتى صارت بحرا ، فتوقف عن الأكل ، وقال : سبحان الله ، لو علمت ذلك ما حضرت دفنه ، فلو كنت مكانه لشممتها من بعيد ، وما مسستها ، فهذا الذي كان منه هو الذي أوردني الموارد ، أي كان أبخل من أبيه .

والإسلام يدعو إلى الإنفاق ، كل على حسبه ، لقول الله ـ عز وجل ـ : "لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾"

وإذا كان البخيل هو عين النكد ، فإن من الكرام من هو من صناع النكد ، حيث منه وأذاه على من ينفق عليه ، يقول : أنا أنفق ، أنا أصرف ، أنا أفعل ، أنا

أعمل ، لولاى ، لكنتم من الضائعين ، وابل من الأذى يمطره صناع النكد ، إلى درجة أن اللقمة تنزل فى الأجواف سما ، والماء الصافى ينزل فى الحلقوم نارا ، والكساء كأنه نار فوق الأبدان

وقد عرف الكرام بأنهم إذا سألتهم كأنك تعطيهم الذى أنت سائلهم ، أى يفرحون إذا سألتهم ، ويعطونك وكأنك الذى تعطيهم ، لكن أن تكون يدك سخية وقلبك بخيل بمشاعر المودة فهذا من صناعة النكد بمكان

ومن ثم أقول دائما إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن آمن معه كانوا يقدمون الحياة على طبق الحياة ، وكثير منا ـ مع الأسف ـ يقدم الحياة على طبق الموت ، ومعنى أن تقدم الحياة على طبق الحياة ، أن تقدم أسبابها المادية من طعام وشراب وكساء ودواء ومعه الرحب والسعة ، وحلو المنطق ، وانفراج الأسارير ، وأما أن تقدم الحياة على طبق الموت ، أن تقدم أسبابها المادية المعروفة ، المذكورة ولكن مع بذاءة اللسان وسوء المنطق ، وعكارة الوجه، وثقل الحركة ، أما رأيت أناسا إذا أعطوا لم يهموا ، ولم يسرعوا ، والله ـ عز وجل ـ يقول : "وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ "، ويقول عز من قائل : "سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ" ، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث ، ومواقف السير ، ألم نعلم

أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " كان أسبق بالخير من الريح المرسلة " ، فهلا أسرعا بالخير بدل التباطؤ الذى يعكر المكان والزمان ، وهو من صناعة النكد .

افرح فى عبك

يدعو صناع النكد إلى كتمان الفرح ، فهم يقولون افرح فى عبك ، يريدون أن يكون الفرح خفيا ، ومنهم من يصر على ذلك إصرارا ، فتراه فى دواعى الفرح يبدى أمارات الحزن ، فإن سأله سائل قال : "دار على شمعتك تضىء"

والدين لا يدعو إلى كتمان الفرح ، قال الله ـ عز وجل :

ومن المعهود عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان إذا فرح بدا وجهه كفلقة القمر ليلة التمام ، ما فرح ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى عبه ، بل فرح ، فبدا وجهه آية ، قال حين فتح الله عليه خيبر ، وعاد من الحبشة جعفر ـ رضى الله عنه ـ : " لا أدرى بأى الأمرين أسر ، بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر "

عد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نعم الله عليه ، ما عد ابتهاجا ، وإظهارا للسرور ، فمن ذا الذى عد كما عد سيده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحبيبه ، فقال لا أدرى بأى هذه الأمور أسر

- بزوجة صالحة مطيعة صابرة ، لا تشكونى لأحد وتقنع بما أقدمه
- أم بولد موفق فى دراسته معافى فى بدنه أم بسيارة نافعة مقتصدة فى الوقود
- أم بسلامتى من حادث مروع
- أم بسلامة أعضاء بدنى
- أم بتوفر قوتى ، وقوت عيالى
- أم بتحقق الأمن فى منزلى ، ومدينتى وبلادى
- أم بحسن جارى

- أم بوضوح غايتى ، وسلامة طريقى إليها
- أم بقيامى فجرا كل صباح للصلاة
- أم بأن الله تعالى وقانى شح نفسى ؛ فأنا أتصدق وأسأل الله أن يتقبل منى
- أم بأرحامى الواصلين
- أم بانتصارى على هوى نفسى ، وطاعتى لله ربى الذى خلقنى وهدانى

هناك عشرات بل مئات من الأسباب الداعية إلى السعادة والسرور ، كلها تخفى تحت تلك العبارة من مصنع النكد ، التى تخفى أسباب الفرح والسعادة وتبدى أمارات النكد الذى لايحبه الله - تعالى ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وإنما هو من معالم تلك الثقافة البغيضة ، الموروثة ، والتى تدعو إلى تجهم الوجه فى وجهه النعم الظاهرة فضلا عن النعم الباطنة ، ومن أنكر النعم الظاهرة فهو للباطنة أشد إنكارا وجحودا .

ويظن هؤلاء الذين يصنعون النكد ، ويبعثونه فى وجوه من حولهم ، وبالتالى يحاولون أن يزرعوه فى نفوسهم أنهم بهذا الصنيع يحاولون الحفاظ على النعم ويخشون الحسد ،

والحسد لايضر بالمحسود أبدا وانما يضر بالحاسد نفسه ، قال الله - عز وجل - :

"أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾"

وقد قال الشاعر من قديم :

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

إنه دائم الحسرة كلما أصابت محسوده نعمة ، لكن حسده لن يرد هذه النعمة ، ولن يزيلها من عند صاحبها بحال إلا فى حال واحدة ، هى أن يقوم الحاسد بإتلافها بيده ، وهذا معنى قوله - عز وجل - : "وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾" ، أى إذا تحول حسده من تقطع قلبه إلى يديه يتلف ما عند المحسود من نعمة ؛ لأن القدر لم يسعفه ، ولم يسعده بأن أزالها فها هو ذا يقوم ليتلفها بيده ، والله غالب على أمره وهو خير حافظا ، وهو أرحم الراحمين

العفو دون الصفح

ولأن الإسلام براء من النكد دعا إلى العفو والصفح ، قال الله - عز وجل - :

"وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾"

وقد عرف كثير من الناس معنى العفو ، فقالوا عفونا ، حتى وإن كانوا صادقين فيما يزعمون فإن عفوهم دون صفح عمن أساء إليهم يعد عفوا صوريا ، أى عفوا أشبه ما يكون بالحبر على الورق كما يقول العوام

ومعنى الصفح أن تطوى صفحة الإساءة إلى الأبد ، وتبدأ صفحة جديدة ، كأن الذى أساء إليك ما أساء إليك يوما

هذا ما عليه المؤمنون الذين يحبون الله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وسبيل المؤمنين ، فها من سبيل المؤمنين أن يكون عفو وصفح ، أما الذين لايصفحون فهم يجددون ورقة الإساءة بمناسبة ، وبدون أية مناسبة ، تراهم ولقد لقوا من أساء يذكرونه بما كان منه من إساءة ، هذا صنف من الناس ، وهناك صنف أخر ، يلقون من أساء إليهم بمودة غامرة ، فإذا انصرف ، وقد رأى من حوله

مودته تحدث عن إساءته بطريقة تبعث على الذهول والتعجب ، كيف كان يلقاه ، وكيف يتحدث عنه بعد انصرافه .

وهذا بخلاف ما رواه البخارى فى صحيحه من حديث عائشة - رضى الله عنها - حيث استأذن رجل على النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : ائذنوا له بئس أخو العشيرة ، فلما دخل عليه أحسن إليه ، فلما سئل عن تلك المفارقة الظاهرة بين ما قال فيه ، وما كان منه من حسن لقائه ، قال عليه الصلاة والسلام : إن شر الناس من هجرة الناس إتقاء فحشه، أى أنه صلى الله عليه وسلم إنما أحسن لقاءه حتى لايقال هجرته إتقاء فحشه ومعاذ الله - تعالى - أن يكون رسوله - صلى الله عليه وسلم - فاحشا ، وهو رحمة الله - عز وجل - للعالمين !

وهناك فرق بين أن يهجرك الناس اتقاء فحشك ، وبين أن يهجروك ؛ لأنك صاحب دعوة صحيحة لم تبق لك صديقا ، كما قيل فى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -

ثم انظر إلى قول النبى - صلى الله عليه وسلم - " بئس أخو العشيرة " ومعناها أنه رجل لا يحسن العشرة ، عبارة موجزة هادفة تغنى عن كثير من العبارات

وانظر إلى عباراتنا التى قد تصل إلى حد المجلدات ، من فحش القول وسوء المنطق ، لا نترك فيه سيئة إلا ذكرناها ، ولا حسنة إلا كتمناها ، وذلك فيه ظلم كبير سببه الرغبة فى نشر النكد ، فالذى تسمعه من أساليب الذم فيمن أساء يكدر صفوك ، ويعكر أفقك ؛ لأنك لا تسمع عبارة سوء بعدها عبارات حسن ، وإنما تسمع سيئا فسيئا إلى حد كبير ، فالأفق ملوث بالسوء ، ناهيك بأن تذكر جملة من الناس الذين أساءوا،،

إنك أمام رواية عنيفة من السوء لا تنتهى إلى درجة أنك قد تقول : ليس فى الناس من هو أهل للمدح ، إنهم جميعا أهل ذم وسوء ، فكيف تجلس مع هذا الذى لم

يصفح ، وأنت قرير العين ، سليم الأذن من الأذى ، فالذى يتساقط عليه هذا الوابل من فحش القول لا يهنأ له طعام ولا شراب ولا منام ، وقد ترى أن ذلك عادى - كما يقال - لكنه والله ليس عاديا ، لأنه خلاف العادة التى جرى عليها هذا الدين الذى يريد السعادة لأتباعه ، ومن معالم تلك السعادة أن يكون مع العفو صفح يفتح الأفق بصفحة جديدة من المودة والتواصل بين الناس .

إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث

تأمل فى ضوء هذا الحديث براءة الإسلام من النكد

فى حديث نبوى شريف صحيح يقول النبى - صلى الله عليه وسلم - : " إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث من أجل أن يحزنه "

وفى رواية " حتى تختلطوا " ، أى حتى تختلطوا بالناس ، فيجد هذا الثالث من يخالطه ، ويتحدث إليه ،أما أن يأخذ أحد الثلاثة أذن الاثنين الباقيين ، ويناجيه ، فيحزن بسبب أنه مهجور ، وقد تحدثه نفسه بأنهما أى صاحبيه يتناجيان فى شىء يتعلق به ، إساءة إلى شخصه أو مكرا به .

وهذا التناجى من صناعة النكد ، وقد شكا إلى من الناس كثيرون بسبب هذه المسألة ، وصارحنى من وثق بى بما كان منه حيث كان يجذب أذن الثانى دون الثالث ، ولايقول له شيئا إنما أراد فقط أن يغيظ الثالث ، ويوهمه بأنه غير مهم وأن هناك سرا من الأسرار لا يجب أن يطلع عليه وأنه ليس فى منزلة من سحب أذنه عنده ، وإنما هو دونه

فانظر إلى الإسلام كيف سد بابا من أبواب النكد قد يكون بعض الناس غير ناظر إليه أو مهتم به ، أى لا يعنيه أن يتناجى اثنان دونه ، لكنه يغيظ بعض

الناس ، وليس أحد من الناس غير مهم فى دين الله ، فقد اهتم الدين بكل إنسان كما اهتم بالحيوان، وبكل شىء فى الوجود ، ولعل حديث حنين الجذع الذى كان يخطب إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين اعتلى المنبر مما يدل على ذلك ؛ فقد سمع النبى – صلى الله عليه وسلم – حنينه ، وسمعه الناس فنزل صلى الله عليه وسلم من على منبره الشريف ، وضم الجذع إليه حتى سكن ، بالله وأنت تقرأ هذا الحديث الصحيح الشريف ألا تسأل نفسك : كم من أب سمع حنين ولده لشىء أصابه فى نفسه ، فضمه إليه ، وكم من زوجة ارتعد زوجها لموقف من المواقف أصابه ، فضمته إليها ، وكم من زوج فعل هذا مع زوجته ، بل مع أمه ، وطفلته ، وأبيه !

لقد ضم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جذعا سمع حنينه حتى سكن ، فهل ضم بعضنا بعضا إثر حادث أو مصيبة حتى سكن .

ولا تحسبن أن مجرد الضم يذهب آثار الحوادث ، إنه بمثابة الوعد بالكلام غير المكذوب إذ لابد من يد سخية ، تكون عزاء لمصاب أو لابد معه من فكرة قوية يتسبب عنها خير كثير يعوض ما فات ، أو لابد معها من وجدان صاف يجبر خاطرا ، ويمسح دمعة ، ويولد ابتسامة ، أما الأحضان الدافئة التى يتبعها شىء من ذلك فلا تسكن حنينا ، فضلا عن ثورة نفس ، ولا تحقق ودا ، ولا تنبت حبا إنما قد تكون من صناعة النكد عند المحترفين لصناعته الذين يعلمون أن مثل هذا الحضن بمثابة الضربة القوية التى تزلزل المحضون ، بما يعلم من شعور بالضياع إثر هذا الحضن الذى عشمه بالخير ثم لا خير ، وبشره بالعطاء ثم لا عطاء ، ولو حرمه منه صاحبه لكان أرفق به ، فمعظم النكد يأتى من قبل الوعود الكاذبة ، والأحضان الدافئة الفارغة.

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناء جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه بعد استشهاده فى مؤتة ، وقد صنع لهم طعاما ، ودعا الحلاق فحلق لهم ، وحين بكت أسماء بنت عميس أمهم قال لها : أتخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة ؟ فأكرم بحضن بعده حقا عطاء ، وليس بعده نكدا.

الدجل وصناعة النكد

إذا ثبت بالأدلة القطعية القاطعة براءة الدين من النكد ، وصانعيه لم يبق إلا الدجل الذى هو من أهم أسباب تلك الصناعة ، يدلك على ذلك أكثر من دليل ، ومن ذلك ما يأتى :

١ - التشـاؤم

وهو إفراز خطير من إفرازات تلك الصناعة ، وليس فى دين الله طيرة ولا تشاؤم ، والشؤم الذى بمعنى المشقة ورد فى المرأة ، والدار والدابة كما ذكرت ، وليس له علاقة بالتشاؤم المعروف ، الذى عمت به البلوى ، حيث تراه على ألسنة الناس يتمثل فى قطة سوداء ، وفى أضغاث أحلام ، وفى الكلاب ، وفى نهيق الحمير ، وفى صراخ لا يعرف مصدره ، وفى كلمة شؤم قادمة من بعيد ، ومن قول صبى لا يدرك : "لا تسافر يا أبى أو لا تخرجى يا أمى" ، ومن قراءة طالع ، وفنجان ، والأبراج ، ومن شخص بعينه ، لا يحبه المتشائم ، يقول : فلان هذا أنا أتشاءم منه ، ولا أعرف لماذا ؟

هكذا ، ومن شخص معين حدث أن زار المتشائم فانقطع التيار الكهربائى ، أو دبت معركة بين والدة وولدها ، أو جاء إيصال بغرامة ، أو خبر غير سعيد ، يظل

ذلك ملتصقا به أبدا ، حتى لو جاءه يوم فرح ، يقول : يا رب استر ، ويقول لمن حوله : ألا تذكرون يوم كذا ، حين جاءنا وكان كذا وكذا ، أعوذ بالله ، ثم يقول : أقسم بالله العلى العظيم أن هذا الفرح لن يتم على خير ، وأن تلك الليلة لن تمر بمسرة ، فإن صادف كذلك الحال ولو بشيء يسير ، مثل أن يجرح طفل – بشقاوته – نفسه ، أو أن يحترق مصباح من ثلاثين مصباحا ، أو نحو ذلك هتف صائحا : ألم أقل لكم !

وكذا يكون التشاؤم عند صناع النكد من رقم بعينه مثل رقم (١٣)

وقد قيل إن الكاتب عباس محمود العقاد اختار رقم (١٣) لمنزله بمصر الجديدة ، حتى يرفع هذه الشبهة ، ولكن هل ترى أحدا قال : جزاك الله خيرا يا أستاذ حتى الأستاذ العقاد كتب فى ابن الرومى الشاعر أنه كان شؤما على من قرأ شعره ، أو قام بدراسة فيه فقال : فلان حدث له كذا ، وفلان وهو إبراهيم عبد القادر المازنى – رحمه الله – كسرت رجله ، وفلان فصل من عمله ، بسبب ابن الرومى

ولا شك أن الشاعر العبقرى ابن الرومى متهم بما لا صلة له به ، فهو من ذلك كله براء ، والأستاذ المازنى كسرت رجله ؛ لأنه كان قصيرا ، وتطاول على الدولاب الطويل ولم يأخذ حذره ، ليأتى بدواء كان فوقه ، فوقع فكسرت رجله ، فما دخل ابن الرومى فى هذا ؟

ويمتد التشاؤم من المخلوقات ، والأرقام إلى الألوان ، فهناك من تتشاءم من لون معين ، لأنها كانت ترتدى عليه ثوبا فأصابها مكروه

ويمتد كذلك إلى أشياء أخرى منها رفة العين ، وأكلان اليد ، ثم ينتهى إلى إحساس مجهول ، يقول لك قلبى يحدثنى ، وأنا شاعر ، وحاسس بأن هذا الموضوع لن يتم.

وقد ورد فى هذا حديث شريف ، معناه أن ذلك الإحساس قد يقع فى صدر الإنسان فقال النبى الكريم صلى الله عليه وسلم فإذا شعر أحدكم بشيء من هذا فليمض ، فإنه لن يضره

نعم لا يضر الإحساس بالتشاؤم إذا مضى الإنسان أما إذا ركنت نفسه إليه ، واطمأنت إلى الخسارة ، فسوف تكون الخسارة ، لأن من اعتقد فى شيء وكل إليه ، والدليل على ذلك قول الله سبحانه : "وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾"

فقول الله تعالى : "نوله ما تولى" ، أى نتركه إلى ما اعتقد فيه ، مع أن ما اعتقد فيه لا يملك له ضرا ولا نفعا ، وهو فى الآخرة بلا شك من الخاسرين ، كذلك من اعتقد فى شؤم ، فحال هذا الاعتقاد بينه وبين خروجه إلى تحصيل رزقه فخسر ذلك فلا يلومن إلا نفسه ؛ لأن هذا الإحساس ما كان ليضره ، لكنه اعتقد فى أنه يضره ، وكان الضرر بسبب تخلفه ، ولو ربح مثله فى هذا اليوم ربحا ففاته لتخلفه عنه ، كان كذلك هو السبب فيما فاته بسبب إحساس هو من الوهم بمكان .

وكما يتشاءم الناس يتفاءلون ، وفى التفاؤل حق وباطل ، أما الحق فلأن الإسلام دعوة إلى التفاؤل ، لقول الله عز وجل : "فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٦﴾" ، وقوله سبحانه : "إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾" ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا : " أبشر وأبشروا " ، وقوله عليه الصلاة والسلام :"بشروا ولا تنفروا "،،

وكان عليه الصلاة والسلام يعجبه الفأل الحسن والاسم الحسن ، ولكن ما يجب أن ننبه إليه هو أنه عليه الصلاة والسلام كان يعجبه ذلك ويعمل ، أما الذين يعجبهم ذلك ولا يعملون فهم واهمون ، ومن هذا وغيره يأتى الباطل فى التفاؤل فالتفاؤل مع التواكل والكسل ضرب من الهوس الفكرى ، والسطحية التى تدمر الإنسان ، ومن يخدعهم بزخرف القول غرورا ، وقد سمعت بعض الذين يتفاءلون بالأسماء يقولون : وثقنا فى فلان ، كفانا اسمه ، إن اسمه (أمين) ، وضيع أمين هذا ما عنده من أماناتهم ، فهل نفعهم اسمه ، وهل هناك دليل من شرع أو عقل يقول : ائتمنوا من اسمه أمين ، ولا تكتبوا عليه دينا ولا تشهدوا عليه أحدا ممن ترضون من الشهداء !

إن العبرة بالمسمى لا بالاسم ، فكم من خائن واسمه أمين ، وكم من عاق واسمه (مطيع) ، وكم من خسيس واسمه (شريف) ، وكم من بخيل واسمه (كريم) ، إن الاسم يوافق مسماه من خلال المعايشة والتجربة ، وكل من يسمى ولده اسما حسنا عليه أن يرعى معنى الاسم فيه ، إن أراد إحسانا وتوفيقا ، أما أن يطلق على ولده اسما جميلا ، يدل على الأمانة والكرم والشرف والمروءة ، والنجدة والنصرة ، ثم يتركه دون رعاية لمقتضى هذا الاسم الذى ينبئ بالمعانى الكريمة فمثله كمثل رجل اشترى قطعة أرض صالحة للزراعة ، فلم يزرعها حتى تصخرت ، أو زرعها فأهمل زرعه

أو قطعة أرض صالحة للبناء ، ثم أهملها حتى اغتصبها غاصب ، لم يبنها على ما كان ينوى أن يبنيها من بيت جميل أو مسجد جامع ، وإنما بناها دار لهو ، أو غير ذلك ، أو أهملها حتى صارت مرتعا للكلاب والقطط ، ومضربا لنفايات الناس يضعون فيها سقط المتاع

فما أحسن أن يجمع المرء بين الاسم ومقتضى هذا الاسم ، وذلك لا يتعين ، ولا يتبين إلا من خلال المعايشة والخبرة ، كما قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لشاب جاء شاهدا

- فسأله : هل تعرفه ؟
- قال : نعم ، أعرفه
- قال : هل هو جارك ؟
- قال : لا
- قال : هل سافرت معه ؛ فإن السفر يظهر معادن الناس ؟
- قال : لا
- قال : هل عاملته بالدينار أو الدرهم ؟
- قال : لا
- قال : يا ابن أخى ، إنك لا تعرفه

ومن قديم قال العوام : هل تعرف فلانا ؟ فقيل : نعم ، قيل : هل عاشرته ؟ قيل : لا ، قال له الأقدمون : إنك لا تعرفه ، وهذا هو المعنى نفسه

٢ ـ <u>ومن مظاهر النكد</u> الذى سببه الدجل اعتقاد الإصابة التى تكون فى السيارات ، وفى غيرها أنها بسبب عدم الذبح لها ، والسبب هو سوء التعامل مع النعم ، فللنعم أسلوب فى التعامل معها معروف ، مثل السيارة ، هى نعمة من الله ـ عز وجل ـ وقد تقع بسببها كوارث ، أقلها أن تصدم ، وسبب ذلك معروف وهو سوء قيادة سائقها ، أو سوء قيادة غيره ، فالرجل يعلم أن ولده حدث ما زال صغيرا ، أو أرعن ، الأول لا يحسن القيادة لانعدام خبرته ، والثانى لا يحسنها لسوء فكره ، وجنونه ، فتحدث الكارثة ، فبدل أن يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والخطأ منى ، إذ سلمت السيارة لهذا الولد الذى لا يحسن القيادة ، وتكون من بعدها

توبة ، تراه يقول : أنا أعرف السبب ؛ فأنا لم أذبح لهذه السيارة ذبيحة أول ما اشتريتها ، ولو كنت ذبحت لها لما وقعت هذه الكارثة !

وهذا عين الدجل ، فلو ذبح لها يوم اشتراها كل رأس فى الدنيا وهو أو ولده ، أو من قادها لا يحسنون القيادة لوقعت الكارثة

ومن ثم قيل من قديم :"أعط القوس باريها"

ويوم أحد ، حين أصاب المسلمين القرح ، قال النبى – صلى الله عليه وسلم - ، من كان معه كنانة فلينثرها أمام أبى طلحة ؛ لأن أبا طلحة رضى الله عنه كان ماهرا بالرمي ،،

ما قال عليه الصلاة والسلام : ارموا بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكل إنسان ، وإنما قال لمن معه سهام ضعها أمام الأستاذ فى الرمى ، الذى يحسنه ويجيده ويتقنه ، ويصيب به أعداء الله ورسوله والمؤمنين .

أما شكر الله تعالى على النعمة ، ومنها نعمة السيارة فيكون أول ما يكون بأن ينطلق بها فيما يرضيه عز وجل ، وألا يكون من الذين يستعينون بنعمة الله تعالى على معصيته ، ويكون بالتصدق لا بالذبح الصريح ، فإن الذبح من شعائر الله فى الأضاحى ، وفى الهدى وفى العقيقة وفى النذور ، لكن أن يشيع بين الناس أن هناك ذبحا من أجل سيارة جديدة ، أو من أجل بيت جديد ، ونحو ذلك ، فليس هذا من الإسلام ، وكون الناس يدعون إليه ، ويعتقدون أن شرا أصابهم فى سياراتهم ، وفى بيوتهم بسبب أنهم لم يذبحوا معناه أنهم يؤلفون دينا جديدا ، وقد أشار الإمام الشاطبى – رحمه الله – إلى ذلك فى كتابه (الموافقات) فى أصول الفقه وغيره ، وتلك بدعة وإدخال ما ليس من الدين فيه ، وهو رد ، بل هو من صناعة النكد

٣- ومن مظاهر الدجل فى صناعة النكد أضغاث الأحلام ، التى هى خليط بسبب لعب الشيطان بالإنسان وهو نائم ، ولا تفسير لها ، ولا تضر ما لم يحدث بها من رآها ، هكذا قال عليه الصلاة والسلام .

عرفت أسرة كان عمودها امرأة ، كلما أصاب ابنها أو أخاها سوء قالت : والله لقد رأيت هذا فى المنام ، وتحكى الواقع الذى حدث لهذا أو ذاك كأنها رأته بنصه وحرفه ، ومعناه إلا قليلا مما كانت تقول ، والله أعلم بصدقها من كذبها ، فإن كان الذى قابل السوء إنما قابله من جهة امرأة قالت رأيت كلبة أو قطة سوداء تهجم عليه ، وإن قابله من جهة رجل قالت : رأيت أسدا أو بغلا يهجم عليه ، وهو يصرخ قائلا أدركينى يا فلانة – تقصد نفسها – وهى تقول : لا تخف ... لا تخف يا حبيبي ، وهى التى أنقذته ، وكان ذلك يحدث إن أصاب هؤلاء خيرا ، تقول رأيته ، فكأن كل شىء حولها يحدث فى الواقع إنما سبقه منامها ، وكانت فى كثير من الأحيان تحذر من عمل شىء لا يوافق هواها بسبب ما ادعت أنها رأته فى منامها

وباب الأحلام والرؤى ثابت فى الكتاب الكريم ، والسنة الصحيحة المشرفة ، لكن سوء الفهم فى ذلك عظيم ، فما ورد فى الكتاب من رؤى الأنبياء من قبيل الوحى ، وما فسره يوسف – عليه السلام – من الرؤى علم خاص به ، قال الله تعالى : "وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ"

وقد روى البخارى فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من رأى خيرا فالله يبشره ، ومن رأى شرا فالشيطان يخوفه ، والرؤيا حديث نفس"

ومفردات الخير معروفة ، من طعام شهى وشراب لذيذ ، ومال وبنين ، ونصر وتوفيق ، وإدراك غاية ، وسهولة مقصد ، وزرع وبساتين ، إلى ما لا يحصى ، وذلك كله بشرى من الله ، والذين يستحقون البشرى من الله هم العاملون المتوكلون حقا عليه ، لا النائمون أو الكسالى أو المتواكلون ، قال تعالى فى آيات سورة يونس فى أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : " لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ " ، وأولياء الله كما قال الله : " ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ " ، وليس منهم مدع متواكل قابع فى

صومعته يأكل من هبات الناس ، وما يقدمونه قرابين زلفى من أجل أن يحصلوا على بركاته ، وإنما الولى هو العالم الذى شقى عمره فى تحصيل علمه وعمل بما علم ، أى أنه من العلماء العاملين ، قال الإمام الشافعى رحمه الله : " إن لم يكن العالم وليا فمن يكون الولى "

وهو المؤمن سليم العقيدة ، صحيح المذهب الذى يعمل الصالحات ، فإن رأى مثله مناما فيه خير فالله يبشره .

وما أكثر الشر الذى يراه الناس فى أحلامهم بسبب تلاعب الشيطان بهم ، وقد ورد فى الصحيح أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يرى فى منامه – وتكرر ذلك منه – أن ملكين يصحبانه إلى النار ، حتى يقف عليها ، وينظر إلى من فيها ، وقد رأى رجالا فيها من كفار مكة ، وقبيل أن يقذفاه فيها يأتى ملك ثالث ، ويقول لهما : اتركاه ، فقص ذلك على أخته حفصة – أم المؤمنين – رضى الله عنها ، فأخبرت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن عبد الله رجل صالح ، لولا صلى ركعتين بالليل ،،

وكانت الركعتان علاجا لهذا المنام الذى لم يره بعد .

ومفردات الشر معروفة ، لا تحتاج إلى معبر ، ولا إلى قاموس ، ومنها المرض والفقر والحاجة ، وانسداد الطريق ومطاردة أشرار له ، وحيوانات مفترسة ، وثعابين وعقارب ، وحيات ، إلى آخره .

والهدى النبوى الكريم فيها أن يستعيذ بالله من رآها ، ولا يحدث بها أحدا ، قال عليه الصلاة والسلام : فإنها لا تضره

وأما حديث النفس فأكثر من البشرى والتخويف ؛ لأن النفوس معلقة بما لا يحصى من أشياء معظمها فى الواقع أحلام ، فما بالك بالمنام

نعم ، معظمها أحلام ؛ لأن العالم وقد انفتح بعضه على بعض ، وصار كما يقال : قرية صغيرة ، برغم اتساعه ، فما تراه العيون فى اليقظة أعظم وكثير مما تراه فى المنام ، بضغطة واحدة على زر يرى الناس العجائب والغرائب والسلع ، ودونها الأهوال ، ومن قديم قال الناس : "ما أطول المد ، وما أقصر اليد" .

فإذا نام حدثته نفسه بذلك كله ، ، والله فى عونه

كان الناس إلى زمن غير بعيد يرون أشياء بسيطة فى يقظتهم هى دون ما يرونه الآن من مشاهد لا تحصى ، لذلك كان حديث النفس فى المنام رحيما ؛ لأن حديثها فى اليقظة كان رحيما كذلك

والمنام مرتبط باليقظة فى هذا ، وقد قال الناس : إن الجائع يحلم بسوق العيش ، وقد روى أهل التصوف الملتزمين أن رجلا سأل أحدهم : ماذا يفعل كى يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ؟ فقال له : كل مالحا فى العشاء ، ثم نم ، وقد كان وجاءه ، فسأله : هل رأيت شيئا فى منامك ؟ قال : نعم ، قال : ماذا رأيت ؟ ، قال : رأيت أنى فى نهر عظيم ، وظللت أشرب وأشرب وأشرب ، فقال له : نعم ،

أتدرى لماذا ؟ لأنك أكلت مالحا ، فنمت على عطش ، فرأيت النهر ، ورأيت أنك تشرب منه مرارا ، ولو نمت متعلقا قلبك برسول الله صلى الله عليه وسلم لرأيته .

ومعنى ذلك أن الذى يعيش مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك أنه يراه ويكفيه أنه إن لم يره أنه راض عنه

قال أحد شيوخ البخارى فيه وهو صبى مهتم بجمع الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأى هذا الغلام لسره ما هو عليه .

وقس على ذلك كل مسلم عامل صالح الأعمال ، وقل : لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره ما هو عليه

٤ـ <u>ومن مظاهر الدجل</u> فى صناعة النكد أن البيوت أعتاب ، يقولون : إن هذا البيت ذو عتبة سيئة وشر ، فمنذ سكناه ولم يحدث لنا خير ، وما هذا بصحيح ، فإن البيوت أعتاب من حيث الذين يسكنونها ، ومن حيث كونها لا تسع من فيها أى ضيقة أو من حيث سوء جيرانها

ثلاثة أسباب وراء النكد فى البيوت والأعتاب :

- أن يكون ساكنوها مفرطين فى دينهم ، لا يحمدون الله تعالى ولا يشكرونه ، والدليل على ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، وذلك فى قصة خليل الله إبراهيم عليه السلام حين زار ولده إسماعيل ، ولم يكن فى بيته ، حيث خرج يحصل رزقه ، فوجد امرأته فسألها عن حالهم ، فقالت : نحن فى شر ، ولم تحمد الله ، فبلغها رسالة إلى زوجها أن تقول له : زارنا اليوم شيخ صفته كذا وكذا ، ويأمرك أن تغير عتبة بابك ، فلما

عاد إسماعيل عليه السلام وأخبرته ، قال لها : هذا أبى ، والحقى بأهلك ، فطلقها وتزوج غيرها ، فلما زاره أبوه لقيها ، وسألها عن حالهم ، فقالت : بخير حال ، وحمدت الله تعالى بما هو أهله ، وقدمت له القرى ، ولدابته العلف ، فبلغها رسالته إلى ولده بأن استقامت عتبة بابك ، وعاد إسماعيل ، وأخبرته زوجته الثانية بما قال أبوه ، فقال لها خيرا ،،

فهذه عتبة الباب ، لا التى تدوس عليها الأقدام ، ولا الموقع ولا الجدران ، وإنما هى فى الإنسان الذى يسكنه ، فإن كان فيه الخير ، ففى البيت خير ، وإن كان فيه الشر ففى البيت الشر ، فلا عيب فى البيوت ، وإنما العيب فيمن يسكنها

ولو أن أناسا لا يذكرون الله ولا يتخذون من بيوتهم مساجد ، ولا يقيمون فيها دين الله تعالى ، سكنوا قصرا لكان هذا القصر قبرا ، ولو أنهم كانوا يسكنون كوخا صغيرا حقيرا فيما ترى العيون ، وحمدوا الله تعالى وشكروه ، لكان هذا الكوخ قصرا

- والسبب الثانى من أسباب النكد فى البيوت ضيقها ، بحيث لا تتسع لمنامهم ، وطعامهم ، وشرابهم ، وقضاء حاجاتهم ، وكذا حاجة أطفالهم ، وضيوفهم النازلين بهم ، وأرحامهم الواصلين لهم ، وغير ذلك

إن طفلا أو شابة بلا شك يزعجها أن يقتحم حجرتها أو يطلع على سريرها أحد ، فكيف يتثنى لها تلك الخصوصية والبيت ضيق

وبعض الأرحام حين يصلون أرحامهم فى البيوت الضيقة يقتحمون كل شبر فيها ، ويصرون على المبيت عند أرحامهم رغم أنه لا ضرورة تدعو إلى هذا المبيت ،

فانظر إلى تلك الليلة التى يضطر بعض أفراد الأسرة صاحبة البيت أن يناموا بعضهم تحت السرير ، وبعضهم فى الشرفة الضيقة وبعضهم فى المطبخ إن وجد ، فهل هذه ليلة مسرة أم ليلة نكد ، إن كانت ليلة واحدة ، فقد يكون المبيت ليالى متعددة

إنهم بدون أرحامهم يعيشون فى نكد الضيق ، ألا ترى أن أرحامهم الذين يبيتون عندهم يزيدونهم ضيقا على ضيق ، وهم بلا شك من صناع النكد ؛ لأنه كان بوسعهم أن يبيتوا فى بيوتهم فى بيوتهم التى قد تكون أوسع من بيوت هؤلاء المساكين

والعجيب ما تسمعه من عبارات النكد الآتية :

أ- قول بعضهم ، إن بيتكم ضيق إلا أننا نرتاح فيه ، ولا ننام نوما هادئا إلا فيه ، فيقال لهم – من تحت الضرس - : إن لم تحملكم الأرض حملناكم فوق رؤوسنا

ب- وقول بعضهم : ألا تبحثون لكم عن بيت أوسع من هذا ، فيقال لهم : ربنا يرزق ، ربنا يسهل

جـ أو يذموا بيتهم صراحة دون تلميح فيقال لهم أحيانا : واذا كان بيتنا هذا لا يعجبكم فلماذا تأتوننا فيه .

• والسبب الثالث من أسباب النكد فى البيوت ، سوء الجيران ، ومن قديم باع رجل داره بالمدينة المنورة بخمسة آلاف ، وكان حقها أن تباع بخمسين ألف ، فلما لامه الناس ، أنشد يقول :

يلومونني أن بعت بالرخص منزلى ... ولم يعلموا جارا هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملام فإنما ... بجيرانها تغلو الديار وترخص

وانما قال الناس من قديم : الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، ومما يروى فى هذا السياق أن رجلا أراد أن يبيع داره مضطرا ، فلما دفع إليه المشترى ثمنها ، قال له : هذا ثمن دارى ، فأين ثمن جارى ؟ ، فقال : أو للجار ثمن ؟ ، قال نعم ألا تشترى جوار من إذا أسأت إليه أحسن إليك ، ومن إذا غبت عنه سأل عنك ، ومن إذا احتجت أعانك ، وعلم جاره بهذا ، فتأكد أنه يبيع داره مضطرا فأرسل إليه بثمنها ، وقال : بارك الله لك فى دارك وفى جارك

٥- ومن أسباب النكد التى تعترى كثيرا من الناس الذين يصنعونه ما يتعلق بسوء فهمهم للدين ، ومن ذلك ما يلى :

- مسألة الاستخارة ، يقولون : صلينا للاستخارة ، ودعونا ونمنا ، فما رأينا خيرا ، ولم يقل أحد من العلماء الثقات إن للاستخارة منامات .

أو يقولون : صلينا واستخرنا الله عز وجل ، ولم نشعر براحة نفسية ، وليس للاستخارة شعور براحة نفسية ، أو غيرها ، إنما هى دعاء ، ويصح دعاء الاستخارة بدون صلاة ، لكنه إثر ركعتين فى غير الفريضة مستحب ، وهى أدب مع الله عز وجل ، ولا تكون إلا بعد الأخذ بتمام الأسباب ، كما أنها لا تكون إلا فى الأمور المبهمة ، أما الأمور الواضحة المقدمات ، والنتائج المترتبة عليها فليست فى حاجة إلى استخارة ، هكذا قال العلماء ،،

يقول العلامة الشيخ إبراهيم بن مرعى الشبرخيتى فى شرح الأربعين النووية صـ ٥٠ ، ط الأميرية سنة ١٩٩٧ : "والظاهر أن الاستخارة تحصل بركعتين من الرواتب ،

وتحية المسجد ، وغيرها من النوافل واعلم أن الاستخارة لا تكون فى واجب ، ولا محرم ، ولا مكروه ، ولا فى فعل مندوب تركه ، وانما تطلب فى الجائز"

قال لى احد الطيبين : إن ابنته خطبها رجل مثله لا يرد ، من هيبة ، وعظيم هيئة ، وجمال شكل ، ووفرة مال ، وزوجناها له ، وبعد شهر اتصل بنا بواب العمارة ، وقال : أدركوا ابنتكم ، فهرعنا إليها ، فوجدناها بين الحياة والموت ، حيث اكتشفت أن زوجها نصاب ، وأن الشقة مفروشة ، وليست ملكا له ، كما زعم ، وهرب إلى إيطاليا ، تاركا لها رسالة ، يقول لها فيها : أنت طالق يا حلوة .. ، مع أننى صليت استخارة ، ودعوت بعد أن زارنا ، وخطبها وشعرت بحلاوة إثر الصلاة ، فتوكلت على الله ، وسألته : هل جاءك بشىء حلو معه ؟ ، قال : نعم ، جاتوه من النوع الراقى الغالى جدا ، قلت له : هذه حلاوة ما أكلت ، لا حلاوة الاستخارة التى نزلت إليك من السماء ، وكان عليك أن تسأل عن هذا الإنسان أصله ونسبه ، ووظيفته ومكانه ، وبعد أن تطمئن إليه عندئذ تصلى للاستخارة ، أو تدعو بعد أداء ركعتى الصبح السنة ، أو بعد ركعتى الظهر السنة كما قال الشبراخيتى عليه رحمة الله ، وعندئذ تكون الاستخارة صحيحة ، وهى دعاء بلا شك ، والدعاء إن استجابه الله تعالى ، وكان فى هذا الشخص شر لا تراه ، صرفه الله عنك ، من حيث لا تحتسب ، فلله جنود لا يعلمها إلا هو ، أما أن تصلى الاستخارة ، أو تدعو بدعائها من أول لقاء ، أو قبل اللقاء ، فذلك دجل لا يصح ، والفقه فى الدين من الضرورة بمكان ولا أعنى به أن تكون فقيها فى المسائل الدقيقة كأبى يوسف ، وتلاميذ الأئمة الذين صاروا أئمة وإنما أعنى به ما أنت تقوم به من عبادة ، وما تمارسه من معاملات كالبيوع وغيرها ، وكالزواج ، والطلاق ، وهناك مايسمى "المعلوم من الدين بالضرورة" ، والاستخارة من ذلك ، فلا يصح

أن نعبد الله على جهل ، ثم يأتى من بعد الجهل نكد كثير ما كان أغنانا عنه لو علمنا .

- واعتقاد كثير من الناس أن الله – عز وجل – ينتقم منهم لذنب فعلوه ، والله عز وجل انتقامه شديد ، وقد قال عز وجل : "فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾" ، وهناك فرق بين الابتلاء الذى هو بشىء ، وبين العذاب الذى هو الإتيان على كل شىء ، قال تعالى فى آيات البقرة :

"وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾"

وقال فى آية القلم عقب قصة أصحاب الجنة التى أصبحت كالصريم : "كذلك العذاب" ، فهناك فرق بين الابتلاء الذى هو بشىء ، وبين العذاب الذى هو القضاء على كل شىء

فالذى يقول : أنا عارف أن الله تعالى ينتقم منى ، وأنا وأنا ، إنما هو من صناع النكد ؛ لأن الحالة التى يعيشها من قبيل الابتلاء ، لا من قبيل العذاب ، ولا الانتقام ، ولو انتقم الله منه لدمدم عليه ، قال تعالى : " فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا "

- ومن ذلك أن الناس ينظرون إلى بعض المجرمين على أنهم فى تعرض لغضب الله عز وجل لا محالة ، وأنه سوف يرى العمى فى عينيه ، والبرص فى جلده ، والشلل فى أعضائه ، والخسارة فى ماله وأهله ، وولده ، وهلم جرا من الويلات

والفقه الإسلامى فى ذلك أنه قد يتوب ، ويكون من الصالحين ، ويرد المظالم إلى أهلها ، وهو قبل ذلك يدعو المسلمين إلى الدفاع عن أموالهم ، وأعراضهم ، فمن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد .

قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : أرأيت لو أن رجلا أراد أن يأخذ منى مالى ، فقال له صلى الله عليه وسلم : لا تعطه مالك ، فقال : أرأيت إن قاتلنى ، قال : قاتله ، قال : أرأيت إن قتلنى ، قال : أنت فى الجنة ، قال : أرأيت إن قتلته ، قال : هو فى النار

كما دعا إلى فض النزاع ، واللجوء إلى القضاء الذى شرع لفض الخصومة بين المتنازعين ، وليس من الإسلام الاستسلام للظالمين ، ثم صناعة النكد بهذا الذى ينتظرهم فى مستقبل أيامهم

- ومن ذلك الاحتساب المزعوم ، وقول كثير من الناس " حسبى الله ونعم الوكيل " ، و " فوضت أمرى إلى الله " ، و " رضيت بما يأتى به الله ... كل ما يأتى من عند الله أنا به راض"

والشر ليس إلى الله ، وإنما إليه الخير الذى هو بيديه عز وجل ، قال النبيون : ظلمنا أنفسنا ، وسألوا الله تعالى أن يغفر لهم ، فغفر لهم ، فلما جاء الخير قالوا : "هذا من فضل ربى"

والاحتساب الحق ، أن يعطى المسلم عن رضا وقناعة ، وهو يحتسب عند الله الأجر ، روى البخارى فى صحيحه : "حتى اللقمة تضعها فى فم زوجتك صدقة"

والعلماء يقولون : إذا احتسب المرء نفقته على عياله صدقة كانت له صدقة

أما الاحتساب المزعوم بأن يجبرك ظالم على أن تعطيه ما ليس من حقه ، فتعطيه بيديك صاغرا ، ثم تصنع النكد بأن تحكى تفاصيل هذه المظلمة ، ثم تختم رواية هذه المأساة بقولك : أحتسب عند الله ذلك ، فليس ذلك من قبيل الاحتساب الحق .

- ومما يتعلق بسوء الفهم للدين عدم قبول العوض ممن سبب لك خسارة ، يقولون: العوض على الله ، ونحن مسلمون ، وموحدون بالله عز وجل ولا نقبل العوض ، وذلك بعد مشاجرة لرب السماء كما يقولون ، وعراك ، واتهام بالعمى لمن أصاب السيارة ، وشتائم وسباب ، ولعان ، فإذا قال الذى أصابها : على إصلاحها ، قيل له : نحن لا نقبل العوض ، ألم يكن ذلك ابتداء بأن يقول : أنا لا أقبل وافتح عينيك فى المستقبل حتى لا تصدم شخصا يقبله !

وبعد ذلك ، أى بعد رفض العوض يحكى تفاصيل المأساة ، من باب صناعة النكد

والفقه الإسلامى يقول : من أفسد شيئا فعليه إصلاحه ، استدل على ذلك الفقهاء بقصة جريج العابد التى رواها البخارى فى صحيحه ، حيث هدم بنو إسرائيل صومعته ، فلما أظهر الله تعالى براءته أرادوا أن يبنوها له ذهبا ، فأمرهم أن يعيدوها طينا كما كانت.

إن دعوى عدم قبول العوض هو من قبيل إلحاق ما ليس من الدين به ، ثم اصطناع النكد ، ولو فهم الناس لرضوا بحكم الله عز وجل وارتاحت نفوسهم ، وعاشوا معا فى سلام.

- ومن سوء الفقه الذى يسبب نكدا كثيرا كذلك أن من الناس من يعتقد أن كل شىء قسمة ونصيب ، خصوصا مسألة الزواج الذى يتم عن سوء

اختيار ، فيجلب النكد إلى البيت والأهلين والجيران ، بل والمحاكم أحيانا ، وبعد كل حكاية ورواية تسمع هذه العبارة " الزواج قسمة ونصيب"

فإذا كان قسمة ونصيبا فلم انزعجنا من النشوز والشقاق ، وسوء العشرة ، إن شكل أنفك هو القسمة والنصيب ، وأنت لا تنظر إليه فى المرآة وتلعنه بل تراه – إن كنت مؤمنا – أجمل الأنوف التى فى وجوه الناس ، وتمضى إلى عملك ، وإلى صحبك وأنت به راض ، فهل فعلت ذلك مع زوجتك التى ترى أنها قسمتك من ربك ونصيبك ، أم رحت تضجر منها وتمل السير فى سبيل من سبل إصلاحها ، موعظة خفيفة ، وهجرا فى المضجع ، وضربا خفيفا ، وحكمين إن خيف شقاق بينكما ! وهل رضيت أنت بزوجك الذى تعتقدين أنه قسمتك ونصيبك وأحسنت عشرته ، وأعنته على طاعة الله ، أم ملأت الدنيا شكاية وصياحا وتخريبا ، وبالغت فى ذلك كما بالغ ، وفى النهاية تقولون " قسمة ونصيب"

- ومن سوء الفقه بالدين فى هذا السياق الذى هو قسمة ونصيب أن يتواكل الناس ، ولا يأخذوا بالأسباب ، فإذا حدث لهم بسبب ذلك نكد كثير ، ولابد له أن يحدث قالوا : ليس هذا مكتوبا لنا ، ولو كان مكتوبا لنا لحصلنا عليه

قام الشاب من نومه متأخرا ، نظر فى ساعته وقال : العاشرة أعوذ بالله ، وهرع إلى المؤسسة التى طلبت موظفا ، ووجد غيره قد سبقه ، فقال لأمه ما كان ، فقالت : يا ولدى ، لا تحزن ، ليس لك نصيب فيها ، لو كانت من نصيبك لقمت مبكرا ، كأنها ترى أن ملكا سوف ينزل من السماء يوقظه برفق قائلا : قم يا حمادة ، وأدرك نصيبك المقسوم وحظك المحتوم

وإذا كان ابن عبد البر رحمه الله يقول : إن الكلام فى القدر لا يحسن إلا عند العزاء ، فأكرم بها من مقولة تعد شيئا من المواساة ، لكنها لا تعد منهجا فى الحياة . كان على هذا الشاب أن يسبق غيره ، فإن فاز غيره مع تساوى الدرجة فهذا نصيبه ، وهو به راض ، وخلاصة الأمر فى هذه المسألة أن الشىء يكون من نصيبك أو لا يكون إذا لم تكن أنت السبب فى ضياعه ، فإن كنت السبب فى ضياعه فلا تلومن إلا نفسك

- ومن سوء الفقه فى الدين الذى يسبب نكدا لا محالة فى هذا السياق أن المال يوضع فى غير حرزه ، وأن الإناء يوضع على النار على غير عين واضعه ، فتكون الخسارة فى المال ، وتكون الخسارة فى الطبخة ، ثم يقال : لا نصيب لنا فيها ، لو كان لنا فيه نصيب لما سرق ، ولما احترق ،،

ويترتب على ذلك النكد العظيم ، حيث إن المال قوام الحياة ، وبضياع قوامها ، هل تراها باقية !

لقد سأل أحد الناس سفيان الثورى فى مسألة وهو واقف عند بائع مشمش يشترى منه مشمشا بدرهم ، فقال سفيان : كيف أجيبك وعقلى ذاهب مع درهمى ، فما عسى أن يقول من ضاعت منه دراهم ودنانير .

والعلماء يقولون : إن ذهب مال الرجل ذهب عقله فما معنى الحياة بلا عقل ، وما جدواها بلا فكر ، وما قيمتها مع الخسارة الفادحة ، التى لم تأت بها جائحة ، وإنما أتى بها الإهمال ، وهذا التعليل السخيف الذى لا يبل صدى فضلا عن إعادة المال الذى هو سبب فى إقامة حياة كريمة ، أقل ما فيها صون ماء الوجه من

التعرض لسؤال الناس ، وقد قال تعالى : " وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ "، فكل من صنع شيئا على عينه فقد فقه ، وكل من أهمل فلا يلومن إلا نفسه

- ومن سوء الفقه فى الدين صناعة النكد ، وبث ثماره المرة فى كل نفس تحت شعار "الطلاق خراب بيوت" ، كيف والله عز وجل يقول : "وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا "

لقد شرع الله تعالى الطلاق إذا استحالت الحياة بين الزوجين بعد استنفاذ سبل الإصلاح ، ومعنى استحالة الحياة أن هناك حياة ، ولكن مع النكد ، والحياة مع النكد حياة كلا حياة ، والله عز وجل يقول : "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ "

فالدين دعوة إلى الحياة التى هى حياة بحق ، لا حياة كلا حياة ، هو دعوة إلى العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، "إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "

ودعوة إلى حسن العشرة بين الأزواج ، بحيث يتحقق السكن وتثمر المودة ، وتتجلى الرحمة فى أعلى صورها فإذا استحال ذلك كله فلم يكن شىء منه ، وفشلت سبل الإصلاح لفشل السالكين ، أو لأسباب أخرى كان الطلاق رحمة ،

فلا وجه لاستمرار النكد والشقاق الذى قد يسفر عن قتل أحدهما صاحبه ، والدماء عند الله عزيزة غالية ، أو أن ترتكب فواحش هى من آثار ذلك النكد العظيم

- ومن سوء الفقه فى الدين الباعث على النكد قول كثير من الناس " لما يريد ربنا"

يقول ذلك مع الأسف تارك الصلاة ، وهل هناك نكد يصب فوق رأسه ، ويدور فى فلكه بسبب أقوى من تركه عماد دينه ، ومن الذى أدراه أن الله لما يرد بعد له أن يصلى ، وقد أمره فقال : " وأقيموا الصلاة " ، وقال عليه الصلاة والسلام لرجل رآه لم يصلى ، لم لم تصل ألست مسلما ؟

ويقول ذلك عاطل ، أمامه فرص عمل لا فرصة واحدة ، لكنه لا يهب للبحث عنها ، ولا يسعى إليها ، وقد قال الله عز وجل : "هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾"، وتقول ذلك مع الأسف امرأة سافرة غير محتشمة لمن قال لها : "اتقى الله " وغطى رأسك فضلا عن سائر بدنك ، تقول : لما ربنا يريد

أو لم يرد الله من الأزل القديم ، ألم يقل عز من قائل "يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ "، ويقول ذلك من يدعى إلى مصالحة أخيه وجاره وزميله ألم يقل الله " والصلح خير " ، و "لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ".

الفصل الثانى

النكد أسبابه وعلاجه

صناعة النكد (الأسباب والعلاج)

كما أن هناك أسبابا لكل صناعة تدعو إليها ضروريات الحياة ، وطبيعة البيئة ، وتوفر بعض أساسيات هذه الصناعة بها ، وحاجة الناس والأسواق إلى تلك الصناعة ، كذلك الحال فى صناعة النكد ، هنالك بلا جدال أسباب داعية إليها ، وأهم تلك الأسباب ما يأتى :

١- سوء الفقه فى الدين

إن سوء الفقه فى الدين سبب فى كل مأساة لا سيما صناعة النكد ، وصدق الرسول الكريم حيث يقول كما روى البخارى فى صحيحه : "من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين" ، وليست صناعة النكد من الخير فى شىء ، ومما يستفاد من الحديث أن الذى لا يفقه فى الدين إنما هو فى طريق الشر ، لا محالة ؛ لأن عدم الفقه فى الدين يدفع به إلى الانحراف عن جادته ، فتهلكه البنيات بعد ضياعه فى مسالكها الضيقة ، ومساراتها المظلمة ، وما يعتريه خلالها من عقبات ومفاجآت سيئة ، وسوف نعرض نماذج من سوء الفقه فى الدين تؤدى حتما إلى صناعة النكد ، وأقول هنا ، إن الذين لم يفقهوا قبلنا دينهم عبدوا العجل وقالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ، وهم الذين أخذ الله ميثاقهم ، ألا يسفكون دماءهم وألا يخرجوا أنفسهم من ديارهم ، فإذا بهم يقتلون أنفسهم ، ويخرجون فريقا منهم من ديارهم ، أليس فى ذلك نكد ؟

ثم إن الله تعالى أمرهم أن يذبحوا بقرة ، ولو كانوا يفقهون لذبحوا أية بقرة ، أى لأجزأتهم ، لكنهم عسروا على أنفسهم فعسر عليهم ، وأخذوا يسألون ما هى ، ما

لونها ؟ ، ما هى ؟ حتى قيل لهم : " إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ "

وعلى وجه الجملة أقول إن الفقه فى الدين معناه تحقيق حياة بلا نكد ، إذ الدين دعوة إلى أطيب حياة ، وسوء الفقه فى الدين يؤدى بمن أساء الفهم إلى مهالك أخطرها النكد ، ألا ترى أن من ذلك الانصراف عن الطاعات ، والانغماس فى المعاصى ، وتوهم أن التوبة سوف تأتى إثر حج أو عمرة ، أو كما يقول هؤلاء عندما يأذن الله تعالى ويريد ،،

وما يحدث للناس من نكد إنما يكون بسبب تلك المعاصى ، قال الله تعالى : "وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ" ، وبعد ذلك يقول عز وجل : "أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟"

أى بسبب اكتساب المعاصى يضلل الله السفن فتنطلق إلى غير الجهة المقصودة ، من أبق فهو آبق ، إذا ترك سيده ، وهام على وجهه ، ومثله فى باب البيوع من الفقه الإسلامى لا يصح بيعه لأنه ليس فى زمام من يبيعه ، وهو من الغرر ، أى كبيع السمك فى الماء ، والطير فى السماء

والعلاج أن يفقه الناس فى الدين ، ولن يتم ذلك إلا عن منهج سليم أهم ما فيه أن يكون الخطاب الدينى المستنير معايشا لهذا الواقع الأليم ، يتناوله فيذكر الداء والدواء ، والملاحظ أن الخطاب الدينى فى هذا الزمان أبعد ما يكون عن الخطاب الدينى أصلا إلا عند من رحم الله تعالى ، من السادة العلماء الثقات الذين تواروا مع الأسف خلف الأضواء ، وترك المجال خصيبا أمام الهواة من الدعاة ، وأمام أمة من المتحدثين فى الدجل والخرافات ، فمن مفسر للأحلام ،ومن متخصص فيما

يسمى العلاج بالقرآن ، ومن متحدث فى السحر والأعمال ، ومن متحدث فى الرقائق التى بلا سند ، والقضايا التى يتناولها المنصفون هى قضايا الطلاق والبنوك والمسائل الخلافية الفقهية

أما مثل هذا الموضوع فبابه باب الزواج والخلافات الزوجية على ضوء المثل السائر الذى يقول : "زوجة نكدية أو امرأة نكدية"

والنكد وإن كان معظمه يتأتى منها أو منه على وجه الإنصاف إلا أنه عام فى كل نواحى الحياة ، قال الله عز وجل : "وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾"

والعجيب أنى سمعت أحد الشيوخ على إحدى شاشات الفضائيات يقول لسائل ذكر له من صلاح زوجته "بوس إيدك وش وظهر" واشكر ربنا

فإذا كان الشكر يتمثل عند مولانا الشيخ فى تقبيل ظاهر اليد وباطنها فكيف يعالج مثله قضية مثل هذه القضية ، ولا شك أنه يخاطبه من أثر الموروث الذاتى ، وليس من أثر الفقه الإسلامى العالى ، الذى يقول إن الشكر بالعمل ، لا باللسان ، ولا بتقبيل الايدى ، قال الله تعالى : "ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ"

إن الخطاب الدينى فى تلك القضية يجب أن يقوم على رصد أسبابها ، والبحث عن معالجة لها ، وأهم معالمه ما يأتى :

١- بيان أن الحياة خلقها الله جميلة ، فالأرض سواها وألقى فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها ، والسماء سقف محفوظ بناها بأيد ، وزينها للناظرين ، وهو سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى هذا الجمال ، من حيث التفكر

فيه : "إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾"

٢- وبيان أن الدين جميل ، فى الحل والترحال ، والأركان والسنن ، والعلاقات الاجتماعية ، والدعوة إلى التعاون على البر والتقوى ، وغير ذلك مما يحقق السعة فى الصدور ، وفى البيوت ، والسعادة فى كل حال ، فالله عز وجل لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولا يكلف نفسا إلا ما آتاها ، قال عز وجل : "لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" ، وقال تعالى : "لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾"

٣- وبيان أن من العبادات عبادات غير مشهورة ومنها أن تبشر طامعا فى رحمة الله وأن تقول قولا ميسورا لمن جاءك وأنت فى حال ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ، ومنها حسن الظن بالله عز وجل ، وأن رحمته قريب من المحسنين ، وأن الله عز وجل عند ظن عبده به ، فإن ظن به خيرا فهو خير ، وإن ظن به شرا فهو شر

٢- الفقر

ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : "اللهم إنى أعوذ بك من الفقر" ، ومن دعائه صلى الله عليه وسلم "اللهم زدنا ولا تنقصنا" ، وفى الصحيح عنه صلى الله عليه

وسلم أنه قال : "كادت الحاجة أن تكون كفرا" ، وهو شاهد بعض اللغويين على دخول أن على خبر كاد

وإذا كانت الحاجة كفرا فهل بعد الكفر من نكد !

ومع الأسف الشديد هناك دعوات إلى الفقر مفترسة ، فبعض الدعاة إلى الفقر يقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم كان فقيرا ، وهذا كذب لأنه ثبت فى البخارى قوله صلى الله عليه وسلم : "اللهم إنى أعوذ بك من الفقر" ، فهل يستعيذ من الفقر ولا يستجيب الله له ؟

مع وضوح قوله عز من قائل : "وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ" ، ومع معالم سيرته لواضحة التى تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرا ، بل كان أغنى الناس ، كما كان النبيون قبله .

جاء إبراهيم عليه السلام ضيفه بعجل حنيذ ، وكان ولده إسماعيل عليه السلام يأمر أهله بالصلاة والزكاة كما قال ربنا ، وأوتى داود وسليمان من كل شىء ،

وقال سليمان عليه السلام : "قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾" ، وقد آتاه .

ومنه استنبط العلماء أن النبوة لا تتعارض والملك .

والنبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل من الشاة الكتف ، وأكل الثريد ، والفواكه والحلواء ، وكان عنده سرير ساج من الهند ، وسئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن طيبه صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان أطيب الطيب ،،

وذكر ابن عبد البر رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم ما استدان لنفسه قط ، وإنما كان يستدين للمساكين ، وكان عليه الصلاة والسلام أكرم الناس ،

وأجود الناس ، وكان أكرم ما يكون فى رمضان ، كان أسبق بالخير من الريح المرسلة

وكان عليه الصلاة والسلام لا يقول لسائل لا ، إذا وجد عنده حاجته أعطاه ، وإلا قال له : " ابتع على" ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول : "من مات وله مال فلأهله ، ومن مات وعليه دين فأنا وليه ، وعلى سداده" ،،

والإسلام يدعو إلى الغنى والقوة ، وبإجماع الفقهاء كل مال أديت زكاته فليس بكنز ، وذلك فى تفسير قوله عز وعلا : "وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾" ،

وفى الحديث : "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفى كل خير" ، وفيه : "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"

والفقير قلما يغير المنكر بيده ، لأنه ضعيف ، وقد رأيت أن تغيير المنكر باليد يتسع معناه إلى أن نوفر عملا لمن لا عمل له ، لأن البطالة منكر أى منكر ، ولكى تصنع لجائع طعاما ؛ فإن الجوع منكر ، أى منكر وقد روى البخارى فى صحيحه قول النبى صلى الله عليه وسلم : "الجوع بئس الضجيع"

فليس تغيير المنكر باليد على ما هو معروف عند كثير من الناس بالسلب ، أى بكسره وتحطيمه ، وإنما يكون بالإيجاب بأن تزرع الخراب ، وتعالج المرضى ، وتأسو الجراح ، وكذلك اللسان ، بأن تدرس المأساة وتعالجها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكذلك القلب أن يكون قلبك مشغولا بالمنكر تسعى إلى تغييره ، وإنما كان ضعيفا لبعد المكان والزمان الذى لا تستطيع الوصول إليه لتغير باليد وباللسان منكرا فيه .

والفقر سبب فى الدين ، والدين نكد عظيم ، هم بالليل وذل بالنهار ، وقد كان صلى الله عليه وسلم أكثر استعاذة بالله تعالى من المغرم ، وقد سأله الصحابة عن سبب ذلك فقال : "لأن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف" ، والكذب والخلف من النكد بلا شك ، والفقر سبب فى سؤال الناس ، وسؤال الناس مر ، ولله در القائل :

إذا أعطيتنى بسؤال وجهى فقد أعطيتنى وأخذت منى

والفقر سبب التفرق ، فالفقير فى بلد وولده فى بلد آخر ، كل يبحث عن رزقه ، وفى هذا التفرق حرمان ، وفيه من الانشغال بالمسافر ، وتتبع أخباره ، وغير ذلك من النكد ما فيه

وقد قال الله تعالى فى سياق منه ونعمه على عبد من عباده كفر بآياته ولم يشكر الله عليها : "ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾"

قال تعالى : "وبنين شهودا" أى حاضرين غير مسافرين ، ليسوا فى حاجة إلى سفر بعيد ، فشهود الأولاد لغناهم عن السفر من نعم الله تعالى ، وسفرهم قد يسبب النكد .

وقد يسبب الفقر بلا شك عدوانا وظلما إذا لم يجد الفقير ما يأكله

- **العلاج**

ومن ذلك أقول : إن الإسلام عالج الفقر عن طريق الزكاة والصدقة ، وإطعام الطعام والتكافل الاجتماعى ، ولأن العيد فرح مشروع ، وابتهاج وتكبير على ما

هدى الله من صيام رمضان فى عيد الفطر ، وما هدى من حج بيته ، وإصابة نسكه فى الأضاحى فى عيد الأضحى ، قال صلى الله عليه وسلم فى الفقراء والمساكين : "اغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم"

لأن السؤال بلا شك من مظاهر النكد على السائل ، وعلى المسئول أيضا حين يرى بؤس السائل وحاجته ، ألا يكدر عليه ذلك صفوه !

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم ما ذم طعاما قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه دون أن يذمه ،

لكنا نجده صلى الله عليه وسلم يذم الوليمة ، ويقول هى شر الطعام ، وسبب ذمه إياها ، صرح به عليه الصلاة والسلام بأنها يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء وكم من نكد يصيب الفقراء ، حين يعلمون بما ينفق على الولائم ، والأطعمة التى تقدمها المطاعم ، ذات النجوم الخمسة وغيرها ، والتى تكفى نفقة كثير من الفقراء أعواما لا وجبة واحدة

وكم من نكد يصيب من يعد الطعام ويلى حره وعلاجه ، وهو يعلم أنه لن يتذوق منه لقمة ؛ ولذا أرشد النبى صلى الله عليه وسلم من يأتيه خادمه بطعامه أن يجلسه ليأكل معه ، فإن لم يجلسه فليعطه منه لقمة أو لقمتين ، لأنه ولى حره وعلاجه

وقد جعل الله عز وجل للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض حقا ، وهم الذين لا يسألون الناس إلحافا ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، وجعل للمساكين والمحرومين والسائلين نصيبا من أموال الأغنياء ،

ونصابا مفروضا ، فقال تعالى : " وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾"

وقال عز وجل : "فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ"

والناس جميعا فى حاجة إلى التحدث بنعمة الله عز وجل غنيهم بما كسب ، ووفق إليه من مال وفير ، وفقيرهم بما أعطى من مال الغنى فسد حاجته ،، والتحدث بالنعمة بخلاف التحدث بالنعمة ، الأول يبعث البهجة ، والثانى يبعث النكد

٣- بُعد الزوايا الباعثة على البهجة والسعادة

ومن أهم أسباب صناعة النكد بعد الزوايا الباعثة على البهجة والسعادة ، ومن ذلك

- حسن الظن بالله ، والدليل على ثبوت ذلك الذى يبعث البهجة والسعادة أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم إن ثقيفا جمعت رجالهم وأطفالهم ونساءهم وبهائمهم ، أى حشدوا كل شىء ، فقال عليه الصلاة والسلام : كل ذلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله

ورب إنسان يقال له ذلك فيثير النكد فيمن حوله ، ويضطرب ، ويقول : يا ويلتنا ماذا نفعل ، أما حسن الظن بالله تعالى الذى قدم الأسباب الممكنة ، وخرج

مجاهدا فى سبيل الله ، وهو على حق فلا يكون منه ولا عليه نكد ؛ لأن حزب الله هم الغالبون

- وغياب زاوية الخير التى تكمن فى مصائب كثيرة ومن قديم قيل : رب ضارة نافعة ، ولا يعدم المسلم زاوية من زوايا الخير يتطلع إليها فإذا بها منفذ صحيح لنفسه من الكرب والهم والنكد ، ألا ترى إلى قول الله تعالى "كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾"

وقال فى آية النساء : "وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾"

ولو علم هذه الآية أناس كثيرون ممن يشعرون بالكره نحو زوجاتهم لما أثاروا نكدا ؛ لأنهن موضع الخير ، وموطن الخير لا يثير نكدا ، إنما يثير بهجة وسرورا

والخير محقق الوقوع بدلالة التعبير بعسى ، فإنه على خلاف التعبير بـ (لعل) كما قال العلماء بناء على استقراء القرآن الكريم ، فما ورد فيه من الرجاء بعسى محقق الوقوع بخلاف ما ورد بلعل فإن الرجاء بعدها محتمل ، قال تعالى : "عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا" ، وقال تعالى "وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ" ، وقال

تعالى " عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ " ، وقال تبارك وتعالى : "عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ"

وزوايا الخير كثيرة ، وكما قلت : لا يعدم النظر إليها إلا من أوقف نظره فى سوء المصيبة دون ما وراءها من احتمال الخير ، ألا ترى إلى قول الله عز وجل : " وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ "

فكل مصاب صابر مبشر من الله تعالى ، وهذا وعد غير مكذوب ، فوعد الله حق ، وقوله الصدق

وقد ثبت أن الشوكة يشاكها المسلم يكفر الله بها من خطاياه ، وهذا باعث على الرضا لا السخط ، وعلى الصبر لا الضجر ، الذى قد يؤدى إلى الكفر ، والعياذ بالله ، كهذا الذى علم أن أبناءه جميعا قد هلكوا ، فقال : لا أعبد الذى فعل هذا ببنى !

ومن الناس من يقول عند المصيبة : " يا رب لم بلوتنى بهذا دون سائر عبادك" ، والعياذ بالله ، وغير ذلك من العبارات السيئة البشعة التى هى من قاموس النكد ، وقاموس النكد فى حياتنا واسع

٤- توهم أن صانعه قوى

ومن أسباب صناعة النكد توهم أن صانعه قوى ، وأن الناس يخافونه ، فهو يحب أن يعرف الناس عنه أنه بلغتهم (عوصة) رجلا كان أو امرأة ، والعوصة هو الذى

إن قلت له كلمة سوء ، أو رآها هو كلمة سوء لم ينتظر حتى يتبين إن كانت سيئة أو لا ، وإنما يمطرك بوابل من السوء ، فتعجز عن أن ترد عليه بمثله ، يتناولك ويتناول آباءك وأمهاتك ، وبلدتك التى لها عند كل صانع نكد أمثال سيئة ، وهى محفوظة ومشهورة .

وقد واجه هؤلاء الصناع قوم يتعجبون منهم ، حيث يقول لهم : "أأنتم من الذين يقولون : خدوهم بالصوت قبل أن يغلبوكم؟ " شهدوا عليهم وعلى أمثالهم بأنهم أصحاب صوت لا أصحاب حجة

والعلماء يستدلون على ضعف الحجة أو انعدامها بالصوت العالى ، أما العوام فلا يعرفون ذلك ، إنما يعرفون علو الصوت بالنكد ، لا بشىء يمت إلى العلم بصلة ، إن الواحد يلقى من أرسله فى المخاطر دون وعى أو دراسة ، فيقول له : حمدا لله على سلامتك يا من خسرتنا كذا وكذا وهلم جرا ، يقول له ذلك قبل أن يفضح هذا العائد أمره ، ويعلم الناس أنه هو السبب فى هذه الخسارة ، بسوء نيته ، وجهده الذى بذله دون دراسة فأرهق المرسل دون فائدة .

ونحن نعلم أبناءنا هذه الصناعة ، حيث نقول لهم : إذا شتمكم زملاؤكم فى المدرسة فلا تسكتوا لهم ، بل ردوا عليهم الكيل كيلين ، ومن قال لك " أمك" فقل له " أمك وأباك " ، وأختك وأخاك ، وأصلك وفصلك ، وهكذا

وسمع رجل ذات ليلة ابنته الطفلة تقول شيئا من هذا الوابل السىء ، فأخذ يضرب كفا بكف ، ويقول لأمها : من أين جاءت بهذا الكلام الغريب ؟ ، وأمها فى أول الأمر اتهمت التلفاز ، إلا أنه قال : مثل هذه الكلمات لا تقال من خلال التلفاز ، وإن كان هو أيضا ينطق بالفحش ، لكن هذه الكلمات ليست من هذا

الجهاز ، فقالت له : إنه من صواحبها اللاتى تلعب معهن فى الشارع ، ويأتى السؤال : ومن أين جاءت بهذا الكلام صواحبها اللاتى فى الشارع ؟

لا شك أن هناك مصدرا لتلك الكلمات السيئة لأن هؤلاء الصغار غير قادرين على الإنشاء والتأليف ، وإن كانوا قابلين لذلك ؛ لأنهم من إفرازات صناع النكد ، وإفرازات النكد نكد بلا جدال ، وإن بدا فى البداية ضئيلا بسماعه فإنه بعد حين سوف يورث تلك الصناعة ، وسوف يقيس على ما سمع ، بل سوف يبتكر ؛ فما دامت المصانع موجودة ، وما دام الصناع موجودين فلابد من الإضافة ولابد من الابتكار

وعندنا – والحمد لله على كل حال – الصناعة فى تخلف ، لنقص الموارد ، ولمآسى الاستيراد والتصدير ، وغير ذلك إلا صناعة النكد ، فهى دائما فى نمو ، يزيد منه أن المد طويل والنظر قصير ، وسوف يأتى بيان بذلك بشىء من التفصيل فلا عجب أن يتوارث الأطفال ذلك الصوت البغيض والوابل السىء ، يمطرون به أنفسهم ، ومن يعترض عليهم

وقد سمعت صياح أطفال متفاوتة أعمارهم إلى جانب المسجد ، وأيقنت أن صلاتنا لن تخلو من تشويشهم ، فقلت للحضور : ألا رجل جزاه الله خيرا ينصح لهؤلاء المزعجين بأن يدخلوا المسجد ويصلوا معنا ، أليسوا مسلمين وأبناء مسلمين !

فقال لى أحدهم : لو تعرض واحد منا لواحد منهم لمسح ذلك الصغير به الأرض ، ثم قال العبارة المحفوظة إنهم على قلة أدب

فقلت : لا بأس إذا أن نتعرض جميعا لهؤلاء لا أن يتعرض لهم واحد ، وخرجت ومعى حوالى سبعة من الرجال ، ووقفنا أمامهم ، وقلت لهم : هيا أيها الأحبة إنه وقت الصلاة ، فلتدخلوا المسجد ، ولتصلوا حتى يبارك الله فيكم وفى شبابكم

، فدخل بعضهم وانصرف آخرون ولكنهم على بعد خطوات مشوها صاحوا بكلمات نابية

• العـــــلاج

وعلاج هذا السبب يتأتى من الجماعة الرافضة له ، وأنه إذا صاح صائح بهذا الحد من الارتفاع صاح فيه الجميع بأن اهدأ حتى نتناقش ، وأن ننشئ الأجيال على أن الحوار الهادئ هو لسان العقلاء فضلا عن المؤمنين

وقد ورد على لسان العلماء من المفسرين أن من الفاحشة ارتفاع الصوت دون داع.

ولعل القارئ الكريم قد وجد أنه فى بيته لا يشعر بالسكن من تلك الأصوات العالية التى تأتى من مصادر شتى ، من الجيران والأطفال الذين اتخذوا من الشوارع ملاعب ، وهم لا يلعبون فحسب ، وإنما يلعبون ويصرخون ، وصراخهم بالشتائم والسباب واللعان ، وقذف الآباء والأمهات ، وغير ذلك من الفحش الظاهر ، الأمر الذى يفقد المرء إحساسه بالسكن فى بيته ، والاستقرار فيه ، وتأديب ولده ، ومؤانسة ضيفه ، ومعاشرة زوجه ، وإن كان كاتبا لا تتسنة له الكتابة ، ولا التركيز فى القراءة ، وقد ينبعث من آلة أو من مدرسة أو من مقهى أسفل بيته أو من سيارات عابرة أو من باعة جائلين ، لقد أصبح التلوث السمعى كارثة هى من النكد بمكان

فلابد من بناء الناس على حسن الجوار الذى يقتضى الإحسان لا الإساءة ، وفى الصحيح أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره"

وليس من إكرام الجار أن نرسل إليه ما يكدر صفوه من أصوات الراديو ، والتلفاز ، والكاسيت ، والشنيور - الذى يعمل ليل نهار من أجل أن يركب جهازا أو أن يهدم

جدارا ، يصح له أن يعمل فى بيته ما يصلحه ، ولكن يستأذن جاره ، وأن يختار الوقت المناسب لذلك ، بحيث لا ينغص عليه نومه ، ولا يكدر عليه صفوه ، ولا يفسد عليه سكنه .

ناهيك بمكبرات الصوت التى إن جاز أن تنطلق بالأذان ؛ لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة فإنه لا يجوز أن تكون الصلاة الجهرية من خلالها ؛ ويكتفى بمكبرات الصوت الداخلية إن عجز صوت الإمام عن الوصول إلى الصفوف الكثيرة التى وراءه ؛ فالله ـ عز وجل ـ يقول : " وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ "

أما هذا التشويش فى الصلاة فإنه لا يصح ، وقد ذكر السهيلى وغيره أنه كان بالمدينة المنورة مساجد ، كلها تصلى بأذان بلال، أى أنه إذا وسع الحى صوت مؤذن فلا يحسن أن يؤذن أكثر من مؤذن على هذا النحو الذى نحن عليه الآن ، فبين الزاوية والزاوية ، والمسجد والمسجد ، والمسجد والزاوية قدر أمتار معدودة ، من هنا تسمع "الله أكبر" ، ومن هناك تسمع "أشهد أن لاإله إلا الله" ، ومن هنالك تسمع "حى على الصلاة" ، وهكذا يكون التشويش ، الذى لا يجوز أبدا .

ولا شك أن نفوس كثير من الناس ثائرة ، ولثورة النفوس أثر كبير فى تلك الثورة اللفظية التى نراها حتى فى الدعاء ، وقد قال ربنا ـ عز وجل ـ :"ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً"

وقد ثبت أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يلحون على الله بالدعاء ولا يسمع بعضهم بعضا ، وقد ذكر كثير من العلماء أن رفع الصوت بالدعاء من الاعتداء فيه ، وقد نهى ربنا ـ تعالى ـ عن رفع الصوت بالدعاء ، وقال عز من قائل :" إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ "

وإذا كان رفع الصوت بالدعاء محبطا له ، وأدعى بألا يستجاب لصاحبه فأى نكد يأتيه من بعد فشله فى دعاء الله رب العزة رب العالمين ، وهو أشد حاجة إلى أن يستجيب الله دعاءه ، ويكشف ما به من ضر !

وقد أعجبنى دعاء ذكره ابن قدامه فى موسوعته " المغنى " لرجل حج البيت ، فدعا ربه قائلا : اللهم إن لم تقبل حجتى فلا تحرمنى ثواب هذا المصاب ؛ فليس هناك مصيبة أشد من مصيبة رجل جاءك سائلا أن تقبل حجته فلم تقبل منه .

وأنا أقول : ومن كبرى المصائب أن يدعو الإنسان ربه فلا يستجاب له ؛ فعلى الداعى أن يخفض صوته ، لأنه يدعو الله ـ تعالى ـ السميع البصير ، الذى لا تختلط عليه الأصوات ، ويعلم السر وأخفى .

وقد سمع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفرا من أصحابه يرفعون أصواتهم بالدعاء ؛ فقال لهم : أربعوا على أنفسكم ؛ فإنكم لاتدعون أصم ، ولاغائبا .

٥- ضعف اليقين بالله عز وجل

ومن أسباب صناعة النكد ضعف اليقين بالله ـ عز وجل ـ

انظر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ثانى اثنين فى الغار ، كيف واجه خوف الصديق بقوله :"يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما" ، قال تعالى : "إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ "

والى قول موسى ـ عليه السلام ـ حين تراءى الجمعان ، وقال أصحابه : إنا لمدركون ، قال ـ عليه السلام ـ : " كلا إن معى ربى سيهدين " ، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر ، فانفلق ، فكان كل فرق كالطود العظيم ، ونجى الله ـ تعالى ـ كليمه ومن معه ، وأغرق فرعون وجنوده .

وهكذا نجد من كان فى معية الله ـ عز وجل ـ أبعد ما يكون من النكد الذى يتأتى من ضعف اليقين بالله ، ففى أقل من هذه المواقف بمئات المرات نجد نكدا خطيرا ، يصوره الفزع ، والكلمات النابية التى تكشف عما فى الصدور من ضعف اليقين بالله رب العالمين .

تعطلت سيارة بأسرة فى الطريق من القاهرة إلى الإسكندرية ، وقبل أن يكشف رب الأسرة الغطاء ؛ لينظر ما بها ، قالت امرأته ، وأطفالها حولها : يافتاح ياعليم ، ههنا فى الصحراء ، والله النهار ده " ما يمر على خير ، ضعنا ـ والحمد لله ـ وبعد قليل سوف تخرج علينا عصابة يجردوننا من ملابسنا ويغتصبوننى ، ويذبحون أطفالى وزوجى وصرخ الأطفال ، وصاح الرجل :

- وحدى الله ، وصلى على النبى يا أم فلان
- لا إله إلا الله ، واللهم صلى عليك يا نبى ، يا أخى ، ألست ترى ، ألاترى أننا فى ضياع ، ولا صريخ ابن يومين يبدو ههنا ، ماذا تتوقع هل سترحمنا العصابة ؟ ألا تقرأ الصحف ، ألا تشاهد برامج التوك شو ، أما تذكر تلك الأسرة التى تعرضت لما قلت منذ أسبوع ، ونحن بها لاحقون . كم قلت لك : نسافر بالقطار، على الأقل : نكون بين الناس
- يا سيدتى إن غاب الناس فرب الناس ـ سبحانه وتعالى ـ لا يغيب ، والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .
- ونعم بالله يا أخى ... ولكن انظر حولك ، يا ستار يا رب ، ماذا فيها ؟

- قال الرجل : لا شىء ، الحمد لله ، كاد الموتور يحترق ؛ إنها فى حاجة إلى بعض ماء ، هاتى الماء الذى معك
- والأولاد ، كيف يشربون ، ومن يدرى ، لعلها لا تدور فنخسر الماء الذى يبل صدى الأطفال ، يا ويلى .. يا خيبتى عليك ، لماذا لم تضع ماء زائدا ، وتعمل لهذا الأمر حسابه ؟
- قلت هاتى الماء قاتلك الله ، وإن شاء الله تدور ، وعلى بعد مسافة قليلة نجد استراحة ، ونتزود فيها بالماء ، وبغير الماء
- خذ ، خربت ما عمرت ، فقد الماء أهون من فقد الأرواح والأعراض .

تناول منها زجاجتى الماء ؛ فقالت لأطفالها الثلاثة :

- صرتم بلا ماء ، حذار أن يقول أحدكم أشرب يا أمى . هل رأيتم أباكم ، لقد أخذ ما معنا من ماء ، ولم يعد معنا قطرة منه ، لا أحد يزن على ويقول : ماء ماء ، أنا أعرفكم ، لا تكفون عن الزن ، ولا عن شرب الماء

وبفضل من الله دارت السيارة ، وانطلقت وما زال النكد قائما ، فالزوجة تلطم لطما خفيفا ، وتقول :

- هل سنمضى سالمين ؟ ألا تتوقع أن تقف فى مكان آخر أسوأ من هذا المكان ؟ هل بقى الكثير على تلك الاستراحة ، إننى لا أرى شيئا ، والطفلة الصغيرة تصرخ ، وتقول أريد ماء ، وأمها تصرخ فى وجهها ـ موتى من العطش ، ألم أقل لكم ..من أين آتيك بالماء ، ألم ترى أباك ، قد أفرغ جميع الماء الذى بحوزتنا فى هذه الخربة ، سيارة نكد ، اشتراها

مستعملة ، وقد نصحت له أن يشتريها جديدة ، لكنه آثر أن يشتريها مستعملة ليعطى المال أخاه ، طبعا أخوه الذى أخذ المال يرتع به الآن ويسعد ، ولا يشعر بنا ، وبمعاناتنا ، وفتحت ورقة جديدة من أوراق النكد ، والرجل يضرب عجلة القيادة بغلظة ، ويقول : اللهم صبرا .

- إن السيارة الجديدة يا هانم ليست فى غنى عن الماء ، وكان من الممكن أن يحدث هذا مع الجديدة .
- لكن ليس بهذه الصورة البشعة ، هل نسيت يوم ذهبنا بها إلى زيارة أختى فى الهرم ، ألم تقف أيضا حتى زودتها بماء ، إنها خربة ، وخردة منذ اشتريتها ، لو كنت جئت بجديدة ، لرحمتنا من هذه المواقف ، لكنه أخوك راحته وراحة أولاده أهم من راحتك وراحة أولادك ، وقد اشترى أخوك بمالك سيارة جديدة ، تسر العين ولا تتوقف ، اشتراها من فلوسك يا أستاذ ، هو ينطلق بها كالصاروخ ، ونحن نتوقف كل دقيقة بهذه المستعملة
- والله ما اشتراها من فلوسى ، لقد جاء بها بالتقسيط ، وكل ما أخذه أخى على يدك عشرة آلاف جنيه ، وهو مبلغ لا تشترى به سيارة جديدة ولا مستعملة ، حسبى الله ونعم الوكيل
- نعم العشرة كانت أمامى والله أعلم بما خفى
- ماذا تقصدين ؟
- أقصد الله أعلم بالسر ، تراك أعطيته دون علمى ، فمتى قلت لى الحقيقة ، إن أختك فلانة أخبرتنى بأنك الذى اشتريت لها الأسورة الذهبية الجديدة ، فهل قلت لى ؟ هل أخبرتنى ؟

- إنها قالت لك لتغيظك ، فأنت امرأة وهى امرأة ، وكيدكن عظيم ، ثم إنك تعرفين دخلى وراتبى ، أليس لك عقل ، من أين لى ثمن الأسورة أيتها المجنونة
- الله أعلم من فينا المجنون ؟
- ماذا تقصدين
- لا أقصد شيئا ، يا سيدى المال مالك ، تعطيه أخاك تعطيه أختك ، ترمى به فى الشارع ، لنا الله أنا وهؤلاء الأطفال المساكين

لاحت أمارات الاستراحة من بعيد ، فصفقت وقالت للأطفال : أبشروا بالماء ، فها هى ذى الاستراحة ، اسمع هات ماء وزيادة ، واشترى طعاما كثيرا لعلها تتوقف من جديد ، فنجد شيئا نأكله ونشربه ، فقد نبيت فى الطريق ، من يدرى ؟ كان قلبى يشعر بهذا كله ، وزيادة ، وقلبى إحساسه لا يخطئ أبدا ، أتذكر يوم كذا حين قلت لك كذا ، وكنت تزعم غيره ، وحدث ما قلته أنا ، هل نسيت ؟ وتوالت أخبار النكد حتى انتهت الرحلة على كدر ، وعادت الأسرة عليه ، واستمرت عليه ، تجتر هذه الذكريات المؤلمة ، وإن قالت هذه الزوجة فى تضاعيف سردها (الحمد لله) .

والمتأمل فى قول الله عز وجل : "فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾" يجد للحمد لذة حيث كان مع الخلاصة لا مع التفاصيل السيئة التى كانت من القوم الظالمين ، ولا شك أن القوم الظالمين لهم تفاصيل مؤلمة فى تعذيبهم الرسول

ومن آمن معه ، تماما كما قال أهل الجنة حين دخلوها : "وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾" ، فالمفسرون يقولون : الحزن هو ما أصابهم فى الدنيا من هم وتعب ، ولا شك أنهم لو ذكروا ذلك على التفصيل ، فقالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الأمراض التى كانت فى الدنيا ، وتكاليف العيش ، والفواتير ، وضرائب المبيعات ، والضريبة العقارية الملعونة ، وسوء جوار من جاورنا ، والهم ، والنكد إلخ ، لما شعروا بلا شك بنعيم الجنة ، فإن سرد التفاصيل المؤلمة يذهب بلذة النعيم فى الدنيا وفى جنات النعيم

كذلك يتمثل النكد المنبعث من ضعف اليقين فى الحرب النفسية التى تفت فى عضد المسافرين ، والضاربين فى شعاب الأرض يبتغون من فضل الله ، وطلاب العلم ، والموظفين الكادحين ، وغيرهم حتى المقبلين على الزواج ، يقال للبنت : اضمنى مستقبلك ، واكتبى عليه كذا وكذا ؛ فإنه لا أمان للرجل ، سيأخذك اليوم لحما ويرميك غدا عظما ، انظرى إلى فلانة ، وفلانة ، وفلانة ، واستفيدى من قصصهم ، وما جرى من سوء لهن ، ففلانة أحبت وانهزمت ، وفلانة طبقت الشريعة ، وأخذت بالأيسر فذاقت وبال أمرها ، وفلانة تزوجت شيخا حافظا لكتاب الله ، ومزقها وكسرها وعذبها ، نعم ، نحن فى زمان من تظنه موسى تجده فرعون

ضباب ، وغيوم ، ورسوم لصور سيئة فى مستقبل واعد بالخير لو أحسنا الظن بالله ، وأذكر فى هذا السياق تلك القصة الجاهلية التى تقول بأن أحد أعيان العرب خطب إلى رجل فتاة من بناته الثلاث دون أن يحدد واحدة منهن ، فاعتذرت الكبرى والوسطى ، وقالت الصغرى : أنا له ، فأنا الجميلة خلقا وخلقا ، والصناع يدا ؛ فإن طلقنى فلا بارك الله له ، ولا أخلف عليه

هذه هى الثقة بالنفس التى تقتضى من المؤمنين حسن التوكل على الله عز وجل ، فما كان من إصابة بعدها ، فالله المستعان عليها : "قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾"

• العـــلاج

وعلاج هذه المأساة يكون فى غرس الثقة بالله فى نفوس الناس ، وأن يتناول الخطاب الدينى المستنير تلك القضية ، فالقرآن الكريم حافل بها ، قال تعالى : "وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ، وقال سبحانه : "فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾" ، وقال تبارك اسمه : "لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾" ، وقال عز من قائل : "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ" ، وقال جل فى علاه : "إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟" ، وقال تبارك وتعالى : "فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾" ، وقال تعالى : "سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا" ، وقال عز وجل : "ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾"

والسيرة النبوية العطرة حافلة بهذا اليقين ، وقد سبق ذكر موقفه صلى الله عليه وسلم فى الغار ، وقد حاول كثير من الناس اغتياله صلى الله عليه وسلم ونصره الله ، فهذا رجل من بنى محارب فى غزوة ذات الرقاع يأخذ سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم ويوقظه قائلا له : من يمنعك الآن منى ؛ فيرد صلى الله عليه وسلم بقوله : الله ، فيسقط السيف من الرجل ، ويأخذه صلى الله عليه وسلم ، ويقول له العبارة نفسها : من يمنعك الآن منى ؟ ، فيرد الرجل قائلا : حلمك وعفوك ، فيعفو عنه صلى الله عليه وسلم .

وقد رأيت بعض الدعاة يذكر تلك القصة ، لكنه يصرخ بلفظ الجلالة (الله) ، ليثير عواطف المصلين ، فنصحت له بأن صراخه هذا يعنى أن السيف قد سقط من يد الرجل بسبب الرعب ، لو أنه صلى الله عليه وسلم قال (الله) بهذا الصراخ .

ولا شك أن الذى هو على يقين من ربه لا يصرخ بلفظ الجلالة ، وانما يقول (الله) بصوت هادئ النبرة ؛ لأنه يجيب وهو مطمئن على يقين فى قلبه فلا يفزع ، ولا يفزع من سأله .

وقد روى أن أحد فتيان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ذهب بمال إلى أرملة تربى يتامى فى حجرها ، فقالت : إنهم ناموا ، فقال خذيه فإن أصبحوا انتفعوا به ، وكان طعاما ، فقالت له فى هدوء وثقة : إن ضمنت لى عمرهم حتى الصباح أخذته منك ، فانصرف عنها ، وهذا لا يعنى أنها متشائمة ، وإنما يعنى أنها كانت على يقين أن رزقهم على الله تعالى ، ومن الناس من عنده رزق أعوام ، ومع ذلك يتوقع الفقر والبؤس والحرمان ، وسوء المصير ، وأنه سوف يتشرد ، وأفراد أسرته ، وسوف يسأل الناس ولن يجد ساعتها من يعطيه ، ناهيك بمسألة انشغاله على

ولده من بعده ، وقد قال الله تعالى فى تلك المسألة : "وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾"

إن الذين هم على يقين بالله تعالى يؤمنون بأن رزقهم ورزق أولادهم على الله عز وجل وحده ، فإن مات عائل فعند الله تعالى غيره ، فما العائل إلا سبب ، فإن غاب سبب فعند الله تعالى أسباب ، وقد قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ "

وحين نهى ربنا تعالى عباده عن قتل أولادهم خشية الفقر ، قال : "نحن نرزقهم وإياكم" لكن انظر إلى ضعف اليقين عند بعض الناس الذين يقول الواحد منهم لأولاده : أنا إن مت فسوف تضيعون ، وإن جرى لى شىء فسوف تهلكون ، فنحن فى زمان صعب ، وما بعده أصعب منه ، ألا ترون الحياة كيف صارت كئيبة ، وأنه لم يعد الأخ أخا ، ولا العم عما ، ولا الصديق صديقا ، يرسم لهم صورة سيئة ، وأنهم يعيشون بين وحوش مفترسة ، وأنه – والعياذ بالله – هو ربهم ولا رب لهم سواه ، والحق ليس كذلك

وما أشد حاجة الناس جميعا إلى غرس هذا اليقين فى قلوبهم من خلال الخطاب الدينى المستنير

٦- توقع زوال النعمة

ومن أسباب صناعة النكد توقع زوال النعمة

تراه وهو يبنى البيت يقول : يا عالم من يسكنك ؟ ، وتراه وهو يرفل فى وشى النعم يقول : ترى هل تدوم ؟ ، وتراه وهو مقبل على الزواج يقول : تراها هل هى قدم سعد يا عالم ! ، وتراه وقد بشر بغلام يقول : ترى هل يعيش ؟ أو يقول ترى هل أعيش حتى أربيه ؟ وأراه رجلا ، وإن كانت أنثى قال : ترى هل أعيش حتى اراها عروسة ؟

وغير ذلك من الصور والأمثلة التى يجمعها جميعا توقع زوال النعمة ، ومن ذلك توقع حدوث الموت توقعا مرضيا ، فإن الموت قادم لا محالة ، ولكن الذين يتفكرون فيه إما أصحاء وإما مرضى ، فالصحيح يدرك أن التفكر فى الموت معناه مزيد حياة ولتوضيح ذلك أقول : إن معنى زيادة الحياة عند الذى يتفكر فى الموت تفكرا صحيحا أنه يعمل من أجل ما بعده لقول الله عز وجل : "وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾"

وفى قصص الوعظ القديمة قصة جديرة بالذكر هنا تقول إن أهل جزيرة اعتادوا على أن ينصبوا قادما إليهم ملكا عليهم لمدة عام ، فإذا انقضى العام ذهبوا به إلى غابة عندهم فألقوه فيها تأكله الوحوش ، وهكذا ، وينتظرون غيره

وكان الواحد من هؤلاء الذين صرعوا يفرحون بالملك ومقتضاه ، ويمرحون ويأكلون ويشربون ، ويرتعون فى الجزيرة ، ويعربدون ، ويسلمون أيديهم للمصير المحتوم

إلى أن جاءهم عاقل عرضوا عليه ذلك ، ففكر وقال : أو تسمعون لى وتطيعون ؟ قالوا : نعم ، قال : فى أى شىء ؟ ، قالوا : نعم فأنت ولى أمرنا ، وطاعتك واجبة علينا ، فرضى ، وكان أول أمر يصدره أن يأمرهم بقطع أشجار الغابة ، والقضاء على ما بها من وحوش ، وبناء قصر فيها على أروع ما يكون ، وحوله جنات مثمرة ، وأشجار مزهرة ، وتجرى حوله الأنهار ، وفرغوا من ذلك كله قبيل أن ينتهى العام ، وفى اليوم الموعود جاءوه صباحا ليذهبوا به إلى حيث كانوا يذهبون بغيره ، فوجدوه فى انتظارهم سعيدا بهذا المصير الذى بناه وأعده لنفسه ؛ ففطنوا إلى حكمته وحسن تفكيره وجعلوه ملكا عليهم دائما.

وهكذا نجد من يتفكر فى الموت تفكرا صحيحا ، إنه يجتهد فى بناء آخرته ، ودنياه هى السبيل إلى ذلك ، فإذا جاء الموت لم يجزع ، وكيف يجزع وهو ينادى بما قال الله تعالى : " يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾"

وصدق الله العظيم إذ يقول : "وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ"

أما التفكر فى الموت بأنه قادم الليلة أو غدا ، ولا لذة لطعام أو شراب ولا سكن فى منام ولا استقرار فى عيش ، فهذا من التفكر المرضى الذى هو من صناعة النكد حيث يجلبه إلى نفسه صاحبه ، ويجلبه إلى من حوله ، فهو دائم ذكره بهذه الطريقة المرضية ، فما على لسانه إلا : أنا أشعر أننى ميت ، أنا أشعر أننى منته ، فإذا مرض قال : قلبى يشعر ، أنا أحس أن هذا مرض موتى ، وأنى لن أقوم منه.

وقد كان من المعهود عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أنه إذا زار مريضا قال له : طهور إن شاء الله ، وقال : لا بأس ، ودعا للمريض ، وزار يوما أعرابيا فقال له : طهور ، فقال الرجل متعجبا : طهور ! بل هى حمى تفور على رجل كبير تزيره القبور ، فقال عليه الصلاة والسلام : نعم إذا ، فمات لغده

وذلك لأن البلاء موكل بالمنطق ، والله تعالى عند ظن عبده به ، إن ظن به خيرا فهو خير وإن ظن به شرا فهو شر

وقد حكت كتب التراث أن عبيد الجرهمى وكان من المعمرين ، حكى أن أعجب ما رآه جنازة على طريق كان يمضى فيه ، فوجد نفسه يمشى فيها دون أن يعرف السبب ، ووجد أنه يبكى على الميت ، وهو لا يعرفه دون أن يعرف السبب ، فتذكر بيتا من الشعر لا يدرى من قاله ، فأنشده لأنه يناسب حاله ، وهو :

يبكى عليه غريب ليس يعرفه وذو قرابته فى الحى مسرور

فدنا منه رجل ، وقال : يا هذا هل تعرف قائل هذا الشعر ؟ فقال : لا ، قال : إنه ذلك الميت ، وأنت الغريب الذى يبكى عليه ، وابن عمه فى الحى مسرور بموته ؛ لأنه وارثه الوحيد

فانظر إلى الرجل ماذا قال فى حياته ، وكيف تحقق له ما قال بعد مماته ، وهذا من عجيب الآثار ، فالبلاء موكل بالمنطق

وقد زار صلى الله عليه وسلم رجلا مريضا أثر فيه المرض بحيث صار مثل الفرخ من ضعفه ، وأدرك النبى صلى الله عليه وسلم بنور النبوة أنه دعا على نفسه بشىء ، فسأله : هل دعوت على نفسك بشىء ؟ ، قال : نعم ، قلت : اللهم ما كنت معذبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا ، فقال صلى الله عليه وسلم : سبحان

الله ، لا تطيقه ، هلا قلت : "ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" ، ودعا له صلى الله عليه وسلم فشفاه الله .

وقد تجد من حول المريض كأنهم من كبار الأطباء يجزمون أنه لن يقوم من مرضه ، وإذا بشر أحد الأطباء اتهموه بأنه يخفى الحقيقة أو أنه رجل حلو اللسان ، أو أنه يقول ذلك من أجل منفعته ، وإطالة مدة العلاج ، فإما أن يحدث المريض عن نفسه ، وإما أن يتحدث بشؤم من حوله ، وهكذا تبدى صناعة النكد ما تبديه من تشاؤم ، وزوال المريض الذى قد يعافيه الله عز وجل ويشفيه ، وقد يموت طبيبه والعود .

- **العـــــلاج**

وعلاج هذا السبب يكون بتوجيه الناس إلى التعرف على الله عز وجل ، ومن التعرف عليه سبحانه أنه يريد أن يزيد المنعم عليه من نعمه إذا شكره ، قال تعالى : "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"

وأن يكشف الضر عن المبتلى إذا تضرع قال الله تعالى : "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا

أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

والله عز وجل يقول: "مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا"، وقال سبحانه: "ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ".

٧- الأثـــــــرة

ومن أسباب صناعة النكد الأثرة، وبعد الإيثار الذى هو من صفات المؤمنين، قال الله - تعالى -: "وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ"

وقد صنعت امرأة من الأنصار بردة للنبى - صلى الله عليه وسلم - وكان فى حاجة إليها، فسأله إياها رجل، فأرسل بها إليه، وقد عوتب فى هذا، وقيل له: تسأله إياها وأنت تعلم أنه لا يقول لسائل: لا؛ فقال: والله ما سألته إياها إلا لأنها لامست جسده؛ فأردت أن تكون كفنى، قيل: وكانت كذلك.

وقد ورد أن بعض الصحابة كانت تأتية العطية فيقول لمن جاءه بها: اذهب بها إلى فلان، فهو أشد حاجة إليها منى، وكان الثانى يذهب بها إلى ثالث، وهكذا

ومثل هؤلاء بهذه الصفة لا يصنعون النكد، ولا يثيرونه، بل عليهم من ربهم سكينة، وفى نفوسهم رضا، وذلك لأن فى قلوبهم إيمانا.

أما صناع النكد فهم على طمع وجشع يزيدان ولا ينقصان، ومن كان لا يشبع فهو فى نكد لا ينقطع كذلك.

وأغلب هذا السبب عند النساء، خاصة إذا تزوج الرجل عليها فهى صانعة نكد، تجلى حتى قالت: "جنازته ولا جوازته"، أى أن موت زوجها أهون بكثير وأحب إليها من أن يضم إليها زوجة أخرى، فهل فى هذا إيمان بقول الله - عز وجل -: "فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ"

ويجب أن أنبه هنا إلى أن بعض الرجال لا يتزوجون على نسائهم لحاجة لهم فى هذا الزواج وإنما هو من صناعة النكد كذلك، أى يريد أن ينكد على زوجته، يعده نوعا من العقاب لها؛ لأنها أساءت أو أهملت، أو غضبت، وذهبت إلى بيت أهليها، أو أنها هددته إن تزوج بقائمة منقولات وغيرها؛ فعاند، وقال: كل ذلك لا يهمنى، وسوف أثبت لك.

المهم أن الزوجة التى تزوج عليها زوجها تصنع من النكد ما تئن بحمله الجبال من هجر، وصدود، وسوء عشرة، وإن كانت ذات أولاد أشعلت فى قلوبهم النار، وراحت تصور لهم أباهم على أنه زير نساء، وأنه باعها وباعهم، وأن هذا البيت لم يعد بيته، ولم يعد فى باله، ولا فى خاطره، وإن رزق هذا الزوج بولد ذكرا كان أو أنثى ضربت كفا بكف، وقالت لأولادها مذ كانت أمه حاملا فيه: جاءكم وريث جديد، يشاركم الحطام القليل، حتى وإن كان كثيرا.

وقد تسأل هذه الزوجة زوجها طلاق الجديدة، وقد تسأله الجديدة طلاق القديمة، إن لم تشترط عليه قبل الزواج أن يفعل هذا.

وهذا منهى عنه شرعا ؛ لقول رسول الله ـ صلى الله عليه ـ كما روى البخارى فى صحيحه : " لا تسأل امرأة مؤمنة طلاق أختها ، لتستفرغ صحفتها ، فإن لها ما قدر لها"

أى لن تأخذ هذه ولا تلك أكثر مما قدره الله لها ، حتى لو طلقها زوجها ، فلن تأتى زيادة كما توهمت ، فما نابها إلا أنها ارتكبت إثما

وقد يصنع النكد فى هذا السياق أبناء رجل ماتت أمهم ، وأراد أن يتزوج بعدها ، كم من نكد وما تأتيه بسبب هذه الرغبة المشروعة ، يقولون : نحن جاهدنا معه ، وعملنا ، وما ثروته إلا نتاج عرقنا ، وسفرنا ، وجهادنا ، والآن ينوى أن يتزوج لينجب لنا ولدا يشاركنا هو وأمه فى ميراثنا

- **العـــلاج**

وعلاج هذا السبب يتأتى من خلال الخطاب الدينى المستنير الذى يعالج الواقع بموضوعية سبق ذكر فحواها ، وهى أن الدين يدعو إلى الإيثار ، وأن ليس للإنسان إلا ما كتبه الله عز وجل له ، وأن الرضا آية من آيات الإيمان ، وقد قال الله عز وجل : "فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"

وقد أباح الشرع للحر من الرجال أن يجمع بين أربع ، وما أباحه الله تعالى لا يعترض عليه معترض ، فقط ننبه إلى أن الإباحة خلاف الوجوب ، إذ لا يجب أن يعدد الرجل ، وإنما ذلك من قبيل المباح الجائز ، وأن العدل شرط فى منجاته من

حساب ربه ، وليس شرطا فى صحة الزواج ، فلو نوى أن يظلم فإن تلك النية لا تفسد العقد ، بل عقده صحيح إذا استوفى أركان صحته من ولى وشاهدى عدل ، فإذا لم يعدل جاء وشقه مائل يوم القيامة كما قال صلى الله عليه وسلم ، والعدل إنما يكون فى القسمة المادية ، والمبيت ، وليس عدلا فى الميل القلبى الذى لا يملكه الإنسان ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تؤاخذنى بما لا أملك ، وأشار إلى قلبه صلى الله عليه وسلم

وأن يعلم الأبناء الذين يعترضون على زواج والدهم أن الأخ الذى قد يأتيهم هو رزق ساقه الله إليهم ، وبدل أن يفكروا فى أنه سوف يشاركهم ميراثهم عليهم أن يفكروا أن هذا الأخ سوف ينفعهم ، وقد طعنوا فى السن ، وقد قال الله عزوجل : "قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ" ، فمن ذا الذى يكره أن يشد الله عضده بأخيه

وقد يكون هذا الأخ أنفع الإخوة ، فلم افتراض السوء ، وافتراض الأخذ بدل العطاء ، والضرر بدل النفع ، فضلا عن النكد الذى يعيشه أبوهم بلا زوج ، فهو فى هم وغم ونكد ، يمسى وحيدا بلا أنيس ، ويصبح قاعدا بلا جليس ، وقد يكون من الرجال الذين لا غنى لهم عن المرأة فى الوقت الذى يظن بنوه أنه فى حاجة إلى من يخدمه ، فيقولون : نحن نخدمك بأعيننا

وكذلك الحال فى المرأة التى ترغب فى الزواج بعد وفاة زوجها ، يقول أبناؤها لها نكدا : أتأتين برجل مكان أبينا ، ويرثك ، وهذا الميراث مال أبينا

وقد ترتب على ذلك أن تزوجت بما يسمى بالزواج العرفى ، أو السرى ، حتى لا تغضب الله تعالى ، وحتى تنجو من عنف أبنائها

وفى الغالب تتزوج ممن ليس بكفء لها ، من رجل يعرف ظروفها ، ويظن أنها شبقة ، وأشبق من حبى كما يقال فى المثل القديم ، فهو يستغلها ويأخذ مالها ، وفى النهاية يساومها على الطلاق بعد طول تعذيب

كما يترتب على ذلك من جهة الرجل الذى وقف بنوه ضد زواجه أن يصاحب النساء فى الحرام ليقضى حاجته

وقد بلغنى مع الأسف من امرأة شابة أن حماها يتحرش بها ، وأنها فقالت لزوجها ، فقال لها جاريه حتى لا يتزوج ، ويأتينا بامرأة أجنبية ، وينجب منها ولدا يشاركنا هذا البيت ، وقد نصحت لها بأن تنأى بعرضها عن هؤلاء المجانين ، عن رجل هى له كابنته ، وحرام عليه زوجة ابنه ، حتى لو طلقها أو مات عنها ، قال تعالى : "وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ" ، وعن زوج لا يتقى الله فيها ، ويعرضها راضيا للفاحشة

ولو أن هذا الابن رضى بزواج والده لعفه ، وأعان زوجته على عفافها ، واستراح الجميع ، لكنها صناعة النكد

ناهيك بهؤلاء الذين يعترضون على زواج أبنائهم ؛ لأنهم وفروا لهم شقفا وفرشا ، يريدون أبناءهم أن يتزوجوا من يختارونها لهم ، وقد أشرت إلى ذلك

٨- شيوع روح الدجل فى المجتمع

ومن أسباب صناعة النكد شيوع روح الدجل فى المجتمع ، وقد وردت إحصائيات نشرت فى الصحف السيارة وغيرها ، تقول إن ملايين كثيرة ، بعضها عد أربعين وبعضها عد أكثر من أربعين مليون جنيه تنفق كل عام فى سياق الدجل ، وتلك المبالغ التى تصرف فى سبيل النكد ، وتصطنعه كفيلة بأن تبنى مصانع

للعاطلين ، ومدارس للجاهلين ، وتعبد دروبا صخرية أمام العاملين والسالكين إلى خير

وشيوع روح الدجل فى المجتمع تريك انحراف بعض أهل العلم عن الجادة ، يقول بعضهم : إننى أقول لسائلى العلم فلا يقنع ، وأسايره بطريقة يهواها وهى الدجل ، فيصرخ قائلا : نعم نعم فتح الله عليك

قال لى أحدهم إن شابا سأله عن ربط الزوج ؛ فقال له : يا ولدى ليس هناك شىء اسمه ربط ، اذهب إلى طبيب ؛ فقال : فعلت ، قلت : لا شك أن فى نفسك شيئا من زوجتك ، أم من أهلها ؟ ، قال : أبدا كلهم عشرة على عشرة ، قلت : لعلك كنت تمارس العادة السرية قبل زواجك ، فالمباشرة الطبيعية غريبة عليك ، قال : أبدا ، ثم قال : وهل هناك شاب لم يمارسها؟

فلما هم بالانصراف ، وتأكدت أنه حتما سوف يذهب إلى أحد الدجالين ، طاوعته ، وطلبت منه أشياء غريبة يشتريها كالتى يطلبها الدجالون ، وحددت معه موعدا أزوره فى بيته ، بعد أن أحضر هذه الأشياء ، ووضعت على جبهته وجبهة زوجته قطرات من دم بعض الطيور ، وصرت أتحدث بهمهمة لا تفسير لها ، وقلت : انتهى الموضوع ، وفك الربط

وبعدها بيومين جاءنى الشاب بهدية وشكرنى ، وأخبرنى أنه صار كالحصان أليس هذا من النكد ؟ ، كيف تحول العلم إلى جهل والخرافة إلى واقع ، وكل ذلك يضر بالفرد والأمة

وأخبرنى بعضهم أنه يصنع أحجبة للمقبلين على الزواج وقاية من الربط ، وأن شابا قال له ، وقد دعاه إلى الحجاب الذى يقبل عليه مثله : لن أفعل ، فقلت له : إذا تحمل

ما سوف يجرى لك ليلة الزفاف ، وأقسم بالله أنه لم يفعل له شيئا ، إلا أن هذا الشاب دق عليه الباب فجرا ، وقال : أنا آسف اعطنى الحجاب ، وخذ ما شئت من مال

توهم الشاب الذى بدا قوى الدين ، وعلى يقين أن الرجل فعل له شيئا فلم يستطع إتيان أهله ، فلما دخل ذلك الرجل حجرته وجاءه بالحجاب الذى أعد منه نسخا ، عبارة عن ورقة بيضاء عليها رسوم وحروف مقطعة ، مكتوبة بقلم أحمر ، وفيها حبات رمال ، وبعض قصاصات من ريش داخل قماشة أخذها منه وانصرف ، وصار كما قال غيره كالحصان

وقد امتد الدجل إلى الطب ؛ فهجر أناس الطب وأهله ، والتمسوا الطب عند الدجالين ، وكان ما كان من نكد عظيم من فوات فرصته للعلاج ، وضياع فرصته لإجراء جراحة ، وتضخم الورم إلى غير ذلك من المآسى

ناهيك بما شاع بين النساء من أن هناك عملا معمولا للزوج الذى نشز أو كان فى طريقه إلى النشوز ، ترى الواحدة من هؤلاء وقد تكون جامعية تذهب إلى الدجالين لإبطال تلك الأعمال ، وتنفق الكثير من المال ، ولو بحثت فى نفسها لوجدت عشرات الأسباب لهذا الذى صرف زوجها عنها ، وكان بمقدورها أن تغير من سلوكها ، وأن تستعيد حب زوجها ، ودفء مودته من جديد

ناهيك بأخبار الدجل والدجالين فى سياق العنوسة ، والخاطب الذى يأتى الفتاة ، وينبهر بها ، ويبدى إعجابه واستعداده لإتمام الزواج ، ثم يخرج فلا يعود ، ويتكرر ذلك ، ولم يسال واحد من هؤلاء نفسه ما الذى طلبه من هذا الشاب ، شبكة ومهرا ومؤخر صداق ، وقاعة أفراح ، وغير ذلك مما لا طاقة لمثله به ، حتى وإن قيل إن أحدا لم يتكلم فى غير المعقول ، فإن سألته عن المعقول الذى تكلم فيه ، أتى بغرائب غريبة ، وطلبات يظنها من المعقول وهى ليست كذلك

حتى وإن كان قد طلب اليسير لم لا يكون العيب فى الشاب الذى جاءنى ويبدى إعجابه بنا ، وبفتاتنا ، وليس فى نيته أن يتزوج ، أليس هذا حظنا من زماننا الذى كثرت فيه الفتن والابتلاءات !

فلنحتسب عند الله ذلك ، ولنستعن به عز وجل عسى أن يرزقنا خيرا منه ، بدل أن نذهب إلى الدجالين ، وقد قال الله عز وجل فى الآية الثانية من سورة فاطر :

"مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ"

ولكى يفتح الله تعالى لنا بابا من أبواب رحمته ، علينا أن نحسن الظن به تعالى ، وأن نسير على صراطه المستقيم الذى نسأله عز وجل أن يهدينا إياه فى كل صلاة ، حين نقرأ فى فاتحة الكتاب : "ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ"

وصراط الله المستقيم واضح المعالم ، وهو اتباع دينه ، وليس من اتباع دينه عز وجل أن نلجأ إلى الدجل ونحن ندعى أننا على يقين .

- **العـــلاج**

وهذا سبيلنا إلى علاج هذا السبب ، ولا أدعى أن علاجه سهل إلا لمن وفقه الله سبحانه وتعالى إلى الصواب ، وهداه إلى الرشد ، وهو يتطلب جهدا كبيرا من الأئمة العلماء ، والراسخين فى العلم من الدعاة ، بل ومن مناهج الدراسة وبرامج الإعلام التى فتحت قنوات متخصصة للدجل والدجالين ، فهذه قناة تجلس فيها

امرأة أمامها إناء فيه ماء تضع فيه يدها ، إذا اتصل بها مشاهد أو مشاهدة ، تسأله عن اسمه وعن اسم أمه ، وعن سنه ، وعن كونه متزوجا أو غير متزوج ، وعن مشكلته ، ثم تغمض عينيها ، ويدها فى القارورة ، وتقول له : أنت تسأل عن مسألة " الرزقة " ، تقرأ سورة الواقعة (٢١) مرة ، وسورة الدخان (١٢) مرة ، وغافر (١٥) مرة

فهل هناك نكد أعظم من هذا

٩- العشوائية

ومن اسباب صناعة النكد العشوائية ، يقال (خبط عشواء) لمن رمى وهو لا يحسن الرمى وأصاب ، وليس يستقيم خبط العشواء فى كل مرة ، وليس من شىء فيه عشوائية إلا وهو نكد على صاحبه المغرور ، وعلى من حوله

العشوائية فى كل شىء مصدر من مصادر النكد ، ولدينا العشوائية فى البناء ، وفى الزواج ، وفى الإنفاق ، وفى كثير من الأعمال ، والنظام أو التنظيم هو مقابل تلك العشوائية البغيضة ، فالبناء أو الحى أو المدينة أو القرية الذى تم على نظام سليم مدروس بلا عشوائية تراه جالبا للسعادة ، لا للنكد من حيث دراسة الأرض ، وما تتحمله من أبنية وطوابق ، وهنالك هندسة الشوارع والجسور ، والمسافات المناسبة لمرور السيارات وغيرها ، أما العشوائية فحالها النكد ، لا يخفى على أحد من ضيق الشوارع ، والممرات ، والأزقة ، وسوء المبانى ، وارتفاعها دون أساسات مبنية ، ولا بنية تحتية ، فلا تخطيط ، ولا هندسة ، وإنما هى اجتهادات فردية ، تقوم على خبرات ضيقة محدودة ، وفى العشوائيات مستويات من الناس مختلفة ، ومفارقات عجيبة ، ترى النكد يدخل من خلالها ، فأستاذ الجامعة يسكن فى عمارة أمى استطاع أن يبنيها فيما كان أستاذ الجامعة مشغولا بدراساته العليا ،

وبينها من النكد أن امرأة الأول تنظر إلى امرأة الثانى على أن أنفها فى السماء (ع الفاضى) ، أوليست تسكن عندها ، وامرأة الثانى تنظر إلى امرأة الأول على أنها خادمة ، فهى امرأة المعلم بكسر الميم ، وهى امرأة المعلم بضم الميم ، والفرق بينهما كبير

وكم دبت من معارك بين الرجلين وبين المرأتين ، وكم نشبت حروب فى مقاهى المناطق العشوائية وحرائق فى بيوت ساكنيها ، أتت على الكثير من منافع الناس قبل وصول سيارات الإطفاء التى لم تستطع دخول الشوارع الضيقة لإطفائها

وكم حدث فيها من عدوان على الأعراض والأموال بسبب الخلطاء من الناس الذين يفتحون بيوتهم للجيران وغير الجيران

أضف إلى ذلك ما أسميه (علماء العشوائيات) وهم فى الحقيقة والأصل أرباب حرف ، وليسوا علماء تفرغوا للدعوة ، واحتلوا المساجد والزوايا ، وعندهم كل شىء حرام إلا ما ندر ، وإذا كان المعروف عند العلماء : الأصل فى الأشياء الإباحة ، فالمعروف عند هؤلاء : الأصل فى الأشياء الحرام ، وبهذه الشدة وهذا التخبط حدث النكد الكبير ، وهؤلاء لهم زبائنهم حيث أنهم صوروا لهم أن علماء الأزهر مأجورون عند الحكومة ، والحكومة عند هؤلاء ، وعند من حولهم كافرة أو شبه كافرة ، والعلماء الثقات سكنوا العشوائيات فترة طويلة من الزمن لضيق ذات اليد ، وسافروا واغتربوا ، وجمعوا أموالهم من أجل الخروج من تلك العشوائيات ، فخرجوا منها ، وتركوها للأحداث والهواة الذين قالوا للناس : إن التلفاز حرام ، واسمه مفسديون لا تلفزيون ، وإن صدقة الفطر يجب أن تكون حبوبا ، والنقاب فرض ، وغير ذلك من فتواهم المعروفة

وعشوائية البناء وما يتبعها من نكد تتجاوز هذا البناء إلى عشوائية الفكر ، وغلى عشوائية الإنفاق

فالذين ينفقون بعشوائية تراهم ينفقون بغير حساب ، يقولون : نحن ننفق على البركة ، والإنفاق بعشوائية يذهب البركة ، ولا يأتى بها ، فالبركة لا تعرف العشوائية ، وإنما سبيلها النظام ، ومراعاة الأحكام ، والدليل على ذلك أن القرآن الكريم كتاب مبارك ، والله عز وجل يقول فيه : "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا" ، ويقول عز من قائل : "وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا" ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخر لأهله قوت سنة

ومن مظاهر العشوائية فى الإنفاق أن فقيرا واحدا يذهب إليه العشرات من الناس ، وهناك العشرات بل المئات من الفقراء لا يذهب إليهم غنى واحد ، ولو جمعت الدولة الزكاة وحصرت من يستحقها لما كانت هذه العشوائية فى توزيعها ،

والعلماء على أن الخطاب فى قوله تعالى : " خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا " موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى من يلى أمر المسلمين من بعده

أهملت الدولة الزكاة واهتمت بالضرائب ، مع أن فى الزكاة غنى كثيرا عن الضرائب ، والناس إليها أميل ، وفيها صلاح الدنيا والدين معا

ناهيك بعشوائية العلاقات الاجتماعية التى تبعث النكد فى كل ناد وبيت ومجتمع ، فالزواج أحيانا يتم بطريقة عشوائية ، دون تمحيص فى الاختيار على

أساس الدين ، وتتهم فى ذلك الاستخارة ، ويلعن من كان السبب فيه ، واليوم الذى حدث فيه

وقد يكون هذا الزواج مدروسا من حيث الاختيار لكنه يتم بطريقة عشوائية ، حيث لا منزل للعروسين خاصا بهما ، وإنما يكون فى بيت أمه أو أمها ، وإن هو إلا شهر أو عام ، وتدب الخلافات ، ويكون إنذار بالطرد على غير يد محضر ، وقد تستمر الحياة شبه هادئة ، فتأتى ذرية بلا ذنب جنته لتجنى ويلات هذه العشوائية من ضيق فى السكن ، وسوء فى المعاش والتربية ، واختلاط بصناع النكد ، فضلا عن اختلاطهم بالكبار من صناعه من الآباء والأمهات

وأخطر من كل هذه العشوائيات عشوائية الفكر ، أن ترى أمة من الناس لا تدرى ماذا تأكل اليوم ، ولا ماذا تفعل غدا ، وكل الذى على ألسنتهم : اتركها لله خليها على الله ...

وقد سمعت كثيرا من الناس يقول بقول بعض الصوفية :

لا تدبر لك أمرا فأولو التدبير هلكى
لا تدبر لك أمرا نحن أولى بك منك

فإذا سألت واحدا من هؤلاء : كيف ؟ قال لك : من ذا الذى يدبر الأمر ؟ حتى تقول : الله ، فيقول لك : انتهت المسالة ، وهى فى الحقيقة لم تنته ولن تنته ، فقد دبر النبى صلى الله علي وسلم والنبيون من قبله وفكروا ، وخططوا للحرب والسلام ، والدعوة إلى الله ، وقال يوسف عليه السلام : " فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ" ، إلى آخر هذا التدبير الذى أنقذ الله به تعالى البلاد والعباد

وأنت إذا سألت هذا الذى يدعو إلى عدم التدبير وقلت له : من الرحيم ؟ فقال : الله ،

فقلت له ألم يقل الله عز وجل : "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا"

إن تدبير الله عز وجل قمة التدبير ، وتدبير العبد من التكاليف الشرعية ؛ لأن العبد مكلف بتدبير حاله من السعى على المعاش ، وتوفير الطعام والشراب ، والمسكن والدواء والعلاج ، والماء ، والنار التى يقودها ليطبخ ويشوى ويستدفىء وهناك تدبير دون تدبير ، وهناك رحمة دون رحمة ، كما أن هناك ظلما دون ظلم ، وهكذا .

ومن تلك العشوائية المتصلة بالعلاقات الاجتماعية أن يزورك زائر دون سابق موعد ، ودون اتفاق ، بل ودون سبب للزيارة ، يقول لك : كنت مارا من جانبك فقلت : أمر عليك ، فهل هذا سبب كاف للزيارة ، وما بالك إذا تكررت تلك الزيارة بسبب تكرر المرور ، وهو لابد أن يتكرر ،

وترى الرجل يرزقه الله ببنت ، ويكون فى زوجته شىء من الوعى والإدراك ، فتقول له : ألا تجهز ابنتك ، فيضحك ، ويقول : من الآن ؟ يا عالم ... من يعيش ،

ويقول هذه العبارة : وقت الله يعين الله ، والله يقول : "وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ"

وكما قال الله وأمر بالإعداد ، كذلك يحسن أن يعد المرء للأمر عدته حتى من تجهيز ابنته وهى صغيرة ، حتى إذا ما شبت وبلغت لم يكن أمر جهازها فجأة ترهقه وتسبب له النكد ، ومن قديم قالت العرب : "عند الصباح يحمد القوم السرى" أى ما يقطعه المسافر بالليل من مسافات يحمده عند طلوع النهار

١٠- ذاكـــرة الســـوء

ومن أهم أسباب صناعة النكد (ذاكرة السوء) تلك الذاكرة التى تستدعى الإساءة من مدى بعيد بالنسبة إلى الزمن لكنها منها قريب ، فهناك من يذكر لك السوء الذى كان منك أو من غيرك ، وقد مر عليه زمان طويل ، إلى درجة أن بعضنا يقول لبعض ممن يذكرون هذا السوء : أما زلت تذكره ، وقد قدمت فى هذا الكتاب مسألة الصفح التالى للعفو ، وتلك حالة من حالات ذكر السوء ، وهى عدم الصفح ، أما ذاكرة السوء ، فمنهج حياة أسود ، وهو من أساسيات تلك الصناعة البغيضة ، صناعة النكد

يحدثك عن السوء الذى رآه فى عمره إلى درجة أنك لا تتصور أنه عاش يوما واحدا فى حسن ، وأنه كما قالت العرب من قديم : يستجير من الرمضاء بالنار ، أو كما يقول العوام فى بلادنا : ينتقل من حفرة إلى أشد منها ، فهو دائم الوقوع فى الحفر ، والحياة بلا شك مزيج بين الحسن والسوء ، وما من إنسان إلا عاش فى حياته حسنا وعاش السوء ، فصانع النكد لا يذكر حسنا عاشه ، وإنما يذكر السوء

انظر إلى تلك الأرملة التى تمن على أولادها بأنها اعتكفت عليهم ورفضت كل خاطب أرادها له زوجة تعيش فى نعيم معه ، لكنها حبست شبابها ولاقت ما لاقت من ويلات من أجل أن تربيهم أحسن تربية وتوفر لهم سبل العيش الكريم

وتحكى تفاصيل تدل على أنها ما عاشت بين أناس طيبين وإنما عاشت بين ذئاب ووحوش كاسرة ، كلهم أرادوها بغيا ، ومن عرض عليها الرفقة ، ومن عرض عليها الزواج العرفى ، ومن قال لها : حرام عليك تخسرين شبابك من أجل أولادك الذين غدا يكبرون ، وهذا يضربك ، وذاك يهملك ، وذلك يطردك ، لكنها قالت

لا ، فليفعلوا بى ما يشاءون ، لن أتركهم أبدا ، مع أنها بلا شك وجدت طيبين من أهل وجيران ومحسنين راعوا ظروفها وقدموا لها العون بفضل الله عز وجل لكنها لا تذكر من ذلك شيئا إلا لماما

أما التركيز فعلى السوء الذى لم يزل يعشش فى ذاكرتها ، كالداء العضال الذى استقر فى عظام امرئ فلم يتركه ، أبى إلا أن يتركه حتى يموت به ، وكما أن فى أعضاء الناس أمراضا مزمنة هنالك أيضا فى نفوس الناس أمراضا مزمنة ، أهمها ذاكرة السوء ، وإذا كان الشاعر قد عتب على قوم من بنى تغلب ، حيث فاخروا بقصيدة قالها فيهم عمرو بن كلثوم ، فقال :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لفخر غير مسؤوم

فإن أهل ذاكرة السوء أولى بالعتب واللوم فقد قال أحد أولاد هذه المرأة : يا أمى لقد عرفنا وحفظنا فارحمينا .

لكنها تأبى ذلك ، وتنهره ، وتصر على أن تحكى مرارا ، وتكرارا ، ذلك السوء التى واجهته فى رحلة حياتها وكفاحها من أجل هؤلاء الأولاد حتى لا يصيروا :

١ـ فريسة لزوج أم

٢ـ وأطفال شوارع

٣ـ ومتشردين

٤ـ ومحرومين من النعيم

٥ـ ومحرومين من كرامة العيش

٦ـ وخدما عند الناس

إلى آخر ما تصوره مثلها من مستقبل محتمل بغيض لو أنها تزوجت ، أو أسلمتهم إلى عمومتهم القاسية وراحت تنظر حياتها ، وترعى شبابها ، وتستمتع بزوج حلال لها .

وكذلك الرجل الذى صنع صنيعها ، يقول لولده : لم أشأ أن آتى لكم بزوجة أب تكدر عليكم صفو حياتكم وتذيقكم العذاب ألوانا ، حرمت نفسى زينة الحياة الدنيا من أجلكم ؛ وتستغل هذه الذاكرة كلما أساء واحد من الأولاد ، أو اعترض شبه اعتراض على تصرف أبيه أو أمه .

وذاكرة السوء يتخلص منها صنفان من الناس :

- الأول : من عرف الصفح مع العفو
- والثانى : من انشغل بذكر النعم

• **العـــــلاج**

ومن هنا يتأتى العلاج لتلك المأساة ، بأن يتعلم الناس الصفح ، فهو مدعو إليه من رب العالمين ربنا

وبتوجيه الناس إلى ذكر نعم الله ـ عز وجل ـ : "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" ، وما أكثر نعمه ـ عز وجل ـ على عباده ، قال تبارك اسمه : "وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ"

نود أن نرى البيوت والمنتديات يشيع فيها الحديث عن نعم الله ـ عز وجل ـ سابقها ، وحاضرها ، والمتطلع إليه منها مستقبلا ، بدل أن يشيع فيها حديث السوء الذى هو من صناعة النكد ،،

فهل وجدنا بيتا يتحدث فيه سكانه عنه ، بأن جعل الله لهم هذا البيت سكنا ،

قال- عز وجل- : "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا" ، ويتحدث فيه الناس عما فيهم من نعم محققة بالعقل ، فزوجة مصونة ، وأولاد بررة ، وأب يبذل جهدا ، ويجنى ثمرا ، يعود عليهم جميعا ، وما بينهم من اتفاق ، والوفاق من كبرى النعم ، وكم جحده أناس كثيرون ، وهو من كبرى النعم ، وبحديث السوء يكون جحد الوفاق ، وكتم الحسنات ، وسرد السيئات ، ألا ترى إلى حديث النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه البخارى وغيره فى أن أكثر أهل النار من النساء ، فلما سئل صلى الله عليه وسلم عن سبب ذلك قال : لأنهن يكفرن العشير ، والعشير الزوج ، وقد بينه صلى الله عليه وسلم ، بأن الرجل يحسن إلى امرأته زمانا ، فإذا رأت منه شيئا (أى سيئا) قالت : ما رأيت منك خيرا قط

وتروى كتب الرقائق أن رجلا وامرأته كانا خادمين فى قصر لم ينجب صاحبه ، فورثه إياهما ، فاغتنيا ، فسألته زوجته التى كانت خادمة أن تنزل فى حديقة المنزل لتمشى فى المطر فذهب إلى أحد الصاغة واشترى لها حذاء من ذهب ، وقال : لابد أن تنتعليه ، فقد تعبت العمر الطويل معى ، وانتعلت الحذاء الذهبى الذى كلفه الألوف المؤلفة من الدنانير ، وقد أحسن إليها عمره ، منذ أن كانا خادمين متواضعين إلى أن صارا صاحبى القصر ،،

وحدث بينهما شىء من الذى يحدث بين الناس ، فقالت له العبارة نفسها ، قالت : والله ما رأيت منك خيرا يوما ! ، فابتسم وقال لها : ولا حتى يوم الطين !

أى ولا حتى ذلك اليوم الذى رغبت فيه أن تمشى فى طين المطر فى حديقة القصر وأبيت أنا إلا أن تمشي فيه بحذاء من ذهب !

فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : يحسن الرجل إليها الدهر فإن رأت منه شيئا قالت : والله ما رأيت منك خيرا قط

فانظر إلى ذاكرة السوء التى تستدعى النكد وتجلبه ، فإذا هى تزهق ما يعيشه الناس من نعم الله عز وجل ، وتطفئ أنوار البهجة التى تبعثها تلك النعم .

وذاكرة السوء كما تنصب بالويلات على الناس لم يسلم منها زمان ولا مكان ولا جماد ، فالناس يعيشون فى بيت عشرات المناسبات السعيدة ، فإذا حدث لهم شىء فيه قالوا : منذ سكناه ونحن لا نرى خيرا ،،

وإذا حدث شىء يوم الثلاثاء تذكروا الثلاثاء الذى أصابهم فيه مكروه منذ عشرين أو ثلاثين سنة ،،

ويسافرون عشرات المرات إلى مدينة أو إلى أى دولة من الدول ، يسعدون فيها ويربحون ، فإذا حدث لهم فيها مكروه قالوا كما تقول المرأة التى تكفر العشير : ما رأينا فيها خيرا ذات سفرة ، وتستدعى ذاكرة السوء شيئا شيئا مما كان ، ومن الطبيعى أن يكون ؛ لأنها مدينة أرضية لا سماوية ، ومن فيها بشر كسائر البشر وقد انطلق كليم الله موسى ، والعبد الصالح عليهما السلام حتى أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ، فلما وجدا فيها جدارا يريد أن ينقض أقامه العبد الصالح وعاونه كليم الله موسى عليهما السلام ، ولم يزد كليم الله على قوله : "قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا" .

ما ذم القرية وما ذم أهلها ، مع أنهما حديثا عهد بسوء ، فلا جهد يبذل لاستدعاء سوء قديم ، وإنما اكتفى بقوله : "لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا" ، الأمر الذى يفيد أنهم لم يكونوا كراما حتى نبادلهم كرما بكرم ، ولكنهم بخلاء أبوا أن يستضيفونا ، ويقدموا لنا شيئا نأكله ، وماء نشربه ، فنحن أولى بأجرنا على تعبنا وجهدنا ، ولو أن أحدا من هؤلاء مكان كليم الله عليه السلام لأسقط على القرية وابلا من سوء الشتائم واللعان ، وإن كان على علم بتاريخ

تلك القرية حكى ما يعرف من السوء ، وزيادة عليه ، فالذى يعرفه كثير من الناس أن ذاكرة السوء لا تستدعى السوء على حجمه، وإنما تضخم فيه ، فهم يقولون فى البخيل : تراه ورثه عن أبيه وجده ، ألا ترى إلى قول الشاعر :

شابه عدى أباه فى الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

وهكذا ذلك البخيل لابد أن أباه كان أبخل منه ، وكذا جده الأول ، بل وأجداده الأولين ، فالبخل يورث ، وليس ذلك شرطا ، فقد يكون أبوه من الكرام ، ألا ترى إلى قول الله عز وجل : "مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا" ، ثم يصب دعاء السوء من بعد استدعاء مواقف السوء ،،

ولدينا من دعاء السوء ما لم يعرفه سلف قديم أو حديث ، من الدعاء بالعمى والشلل والبرص والجذام ، وانقطاع الماء والهواء ، والإصابة بأمراض يعجز عنها المهرة من الأطباء إلى آخره ، وكل ذلك من أثر استدعاء السوء ، وتضخيمه والزيادة عليه من هوى تلك النفس التى لم تهتد إلى ذكر الحسن ، الذى كان من نصيبها قدرا من الله وفضلا ، والحسن الذى كان من الناس

ولا علاج لهذا الوباء إلا أن يتعلم الناس الإنصاف والموضوعية ، ومن الإنصاف والموضوعية أن تذكر الحسنات مع السيئات إن كان لابد من ذكر السيئات

وقد رأيت فى كتب السير والتراجم مثل هذه العبارة التى كررها الذهبى فى سير أعلام النبلاء ، وغيره حين يذكر حسنات من يترجم لهم بقوله : "إلا أنه كان فى خلقه حدة" وذلك بعد سرد صفحات من الحسن فى بذل الجهد فى طلب العلم وتحصيله ونشره ، والدفاع عن الحق وأهله ، وكثير من الناس على عكس ذلك ، فعبارة : "كان فى خلقه حدة" على قدر حروفها وكلماتها يكون ذكر الحسن ، أما الصفحات الطويلة ففى ذكر السوء

والزمن إما أن تكثر فيه الحسنات ، وإما أن تكثر فيه السيئات ، فإذا كثرت السيئات فى زمن ، واستدعى فيه الناس السوء فلن يكون هناك مجال لذكر الحسن ، الذى هو مطلوب لكى نجمل حاضر الناس ، فلن يجمل عيش ولن يستلذ بالنعمة ، إلا بذكر حسنات كل شىء .

١١- مواجهة السوء بالسوء

ومن أسباب صناعة النكد مواجهة السوء بالسوء ، بمعنى أن شخصا ينكد عليك ، فترى نفسك مضطرا لقانون الحياة ، والميراث البغيض أن تنكد عليه ، أى أنك ترد الإساءة بالإساءة ، والنكد بالنكد ، وهكذا ، كالذى يشتم من شتمه ، ويسب من سبه ، ويلعن من يلعنه ، وفى كثير من الأحيان يكون الرد أبلغ وأسوأ ، كأن يسب أباك ، فتسب أباه وأمه وعائلته ومن يعرفه ،،

وقد رأيت طفلا أساء إلى زميله بهذه الطريقة ، فحكى لأمه ما قاله زميله له ، فقالت : ايها الخائب الخاسر ، وهل فى هذا ما يشفى الغليل ؟ ، وارتدت عباءتها السوداء وصحبت طفلها إلى بيت زميله ، ومن على الباب فرشت الملاءة كما يقال ، تناولت الطفل ومن حملته فى بطنها ، ومن رباه ، وقالت : لا شك أنه ليس أبا ، وإنما هو زعزوع ، لم يفلح فى تربية ولده

وقد فتح لها الرجل باب بيته ، وقال لها : تفضلى ادخلى ، وقولى ما شئت ، فإن هذا الذى تقولين على الباب لا يصح ، فأساءت إليه وقالت : إنها رسالة إنذار فقط ، ولا يمكن أن أدخل لكم بيتا ، فقط أعلم ولدك أن ولدى له أناس يأكلون الظلط ، ويبتلعون الحديد ، ولو قال له ولدك كلمة مما قال فسوف يرى ، وأبلغ أمه أنى سوف آكلها بأسنانى ، هيا يا ولدى ، وفى الطريق قالت لولدها : هكذا هل حفظت ما قلته ، تعلم كيف يكون الرد على من أساء إليك ، وكيف ترد له

الصاع صاعين ، ومن رشك بالماء فلابد أن ترشه بالدم ، وأخذت تضربه فى مناطق متفرقة من بدنه ، وتوصيه بهذا السوء الذى هو من صناعة النكد ، وفى العفو سعة .

ومن أمثال هؤلاء السائدة "من عاش بين الذئاب لابد أن يكون أسدا" ، وقولهم "من لبس لباس النعاج بين الذئاب أكلته" ، وغير ذلك من الأمثال السائدة الداعية إلى مقابلة الإساءة بالإساءة

- **العـــــلاج**

ومعالجة هذا السبب تكون بالخطاب الدينى المستنير الذى ينطلق من قول الله عز وجل : "وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ"

فانظر إلى هذا الخطاب الدينى الرشيد ، كيف حكم ربنا عز وجل ، وهو أعلم بما يصلح عباده أن مقابلة السيئة بالحسنة يجعل العدو صديقا حميما ، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ، كما قال السادة العلماء ،،

فلا يقولن أحد إن مقابلة الإساءة بالحسن دليل ضعف ، أو يزيد المفترى افتراء والمعتدى اعتداء ، وإذا صح قول هؤلاء فإن إعادة النظر من الواجبات ، فقد تكون مقابلة الإساءة بالحسن بطريقة تبعث على ما قالوا وذكروا .

فمن الناس من يقابل الإساءة بالحسن ، ولكنه الحسن الذى يبدو (من تحت الضرس) ، أو حسن مشوه بسوء النظرة ، أو بضعف النفس ، ولذا قال الله سبحانه :

"وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"

والصبر كما عرفناه فى ضوء القرآن الكريم على خلاف الصبر الذى عرفناه فى ضوء معايشتنا للناس ، فالصبر فى القرآن الكيم صبر جميل ، والصبر عند الناس صبر مشوه ، ألا ترى إلى الصابر الذى يستكين ، ويتمسكن ، وينزوى ، أو يثور ويضجر ، ويدعى أنه صابر ، والله عز وجل يقول فى الصابرين : "فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ"

وقد روى البخارى عن أبى الأحوص أن أباه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل مر به فلم يقره (أى لم يقدم له القرى ، وهو واجب الضيافة) ، فهل إذا جاء المدينة ومر به يكرمه ويضيفه ، فقال له صلى الله عليه وسلم : نعم

هذا هو الخطاب الدينى ، كلمة الله وكلمة رسوله الباعثان على حياة طيبة كما أقول دائما فى تعريف الخطاب الدينى ، هكذا ينبغى أن يتعلم الناس ، وأن يعلموا أولادهم وبناتهم منذ نعومة أظفارهم كيف يدفعون السوء بالحسن ، وكيف يردون بمعروف على من أساء إليهم ، وأن فى ذلك قوة يستمدونها من دينهم الذى يدعو إلى هذا الذى يزيل نكدا عظيما ، يمتد بالردود ، ويقوى بالصدود

وصدق النبى الكريم إذ يقول فى المتخاصمين : "يلتقيان ، فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام"

وإنما كان الذى يبدأ بالسلام خيرهما ؛ لأنه استطاع أن يتغلب على هوى نفسه ، وحبها أن تنشر السوء ، وأن تبالغ فيه ، وأن ترد على المسىء الذى سبب إساءة قليلة

باساءة أكثر من إساءته ، فإذا البغضاء تحل محل المودة ، وإذا العكارة تحل محل الصفاء ، وإذا النكد يصل إلى القاصى والدانى ، ويعم البلاد والعباد .

١٢- ادعـــاء عـــدم الســـبـــب

ومن أسباب صناعة النكد أنه لا سبب وهناك بلا شك سبب ، لكنه لما كان مفتاحا للحل ادعى أنه لا سبب ، حتى يكثر النكد ، ويضرب الناس أخماسا فى أسداس ، فهناك من يقول له : مالك ؟ فيرد قائلا : لا شىء

- لكنا نراك مهموما حزينا
- نعم
- فما سبب ذلك ؟
- لا سبب ، لا أعرف لذلك سببا
- أينقصك مال ؟
- لا
- أتريد حلا لمشكلة فى عملك ؟
- لا ، الأمور فى العمل متعبة ولكن ليس إلى هذا الحد
- هل ضايقك أحد ؟
- كل الناس يضايقون ، ولكن
- هل بك داء ؟
- وهل هناك أحد سليم ؟
- ماذا بك ؟
- لا شىء ، الحمد لله
- هل فى حياتك امرأة ؟
- فيبتسم ابتسامة صفراء ، ويقول لا

وإن كانت فتاة أو امرأة وسئلت هذا السؤال ، هل فى حياتك رجل ؟

- رجل ! لا ليس فى حياتى رجل
- إذن ماذا بك ؟
- لا أعرف

وقد ينتهى الأمر إلى دجل ، ويذهب الناس بهذا الذى حيرهم ، ويتفقون فى النهاية على أنه قد عمل له إنسان عملا ما ، ولابد أن يكون سفليا ، وقد يذهبون به إلى كنيسة ، أو إلى دجال مشهور ، ومثل هذه الحالة فرصة سانحة لهذا الدجال الذى لا يعز عليه أن ينتحل سببا ، فما أكثر الأسباب التى تنتهى فى جميع الأحوال إلى عمل معمول ، أو تنتهى إلى أن جنا متلبسا به ، ولهذا الجن مطالب معينة تزداد فى كل زيارة ، والناس ينفقون بسخاء فى سوق الدجل والدجالين ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ،،

والدليل على أن هناك سببا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد امرأة تبكى ، فسألها : أجائعة أنت ؟ أعارية أنت ؟ ، فقالت : أخذوا منى ولدى يا رسول الله ، وكانت فى السبى ففرقوا بينها وبين ابنها ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا إليها ابنها ، ونهى عن التفريق بين المرأة وولدها إذا هناك سبب

ولعلنا نلحظ أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل عن سبب ظاهر ، ولابد أن نبدأ بالسبب الظاهر ، فقد سألها صلى الله عليه وسلم عن الجوع والعرى ، وقد تخلفنا طويلا عن هذا المنهج فقلنا : هناك سبب خفى .

وكان ابن الجوزى رحمه الله يقول : "إن بكاء الطفل يدل على أنه إما جائع وإما به علة ، وألوف مؤلفة من الناس يقولون إنه محسود ، إن به عينا أصابته ، وهو بلا شك جائع ، فأمه منصرفة عنه إلى مشاهدة المسلسلات والأفلام ، ومباريات كرة القدم التى تصفر فيها كلما حقق الفريق الذى تشجعه هدفا ، أو صنع أحد أعضائه شيئا يسرها من حركة ، أو مناورة ، وطفلها يصرخ من الجوع أو أنه بلا شك كما قال ابن الجوزى (به علة) أى مرض ، وكيف تشعر كذلك بأن طفلها عليل ، وهى منصرفة عنه بالكلية كذلك !

فالحل الأسهل الذى يناسبها ويبرئها من إهمالها فى تربية ولدها أن عينا أصابته ، أو أنه محسود ، هذا أيسر شىء وأسهله عند الذين يصنعون النكد ،،

رأيت امرأة عجوزا قامت فجأة واتجهت نحو المطبخ لتعد لنفسها شيئا ، فسألتها : فى بناتك ما يكفيك ، فضحكت وقالت : سلمك الله ، أنا لا أحب النكد ؛ فسألتها : كيف ؟ قالت : سوف تعتذر كل واحدة منهن ، وربما قالت إحداهن كلمة إساءة ، بأن تعترض على طلبى ، أو تكذب ، فتقول : لا أحسن إعداده ، وأنا أعلم أنها تحسنه ، أو تقول : إعدادى لا يعجبك ، وأنا على يقين أنه يعجبنى ، وما قلت لها ذات يوم إنه لا يعجبنى ، فأنا أبعد عن النكد والشر ، وأقوم بنفسي ، فأعد حاجتى بيدى ، وإن كنت أتعب قليلا إلا أن تعب البدن أخف بكثير من تعب النفس ، ووجع القلب .

وفى تقديرى أن هذه المرأة من الحكماء ، وليست من صناع النكد ، ولو أن فكرتها هذه وصلت إلى ملايين الأفراد ، بل إلى دول بأسرها لما كان هناك من نكد عليها ، وتخلف وتدهور فى الاقتصاد ، وغيره من مجالات الحياة ، فإن كثيرا من الناس يستطيعون القيام بما يحتاجون إليه بأنفسهم دون أن يسألوا غيرهم القيام به ، والذى يراهم يعملون يستطيع أن يعينهم دون أن يسألوه ، ويكفى أن يسألوه بلسان الحال دون سؤال المقال الذى قد يجلب لهم النكد بمثل الذى قالت هذه العجوز الحكيمة .

والدليل على ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم - كما روت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها - كان يحلب شاته ، ويخصف نعله ، ويرفأ ثوبه ، وقالت – رضى الله عنها – كان فى خدمة أهله ، كما روى البخارى فى صحيحه ،،

بل قام بنفسه صلى الله عليه وسلم يبنى حجراته ، ومسجده ، فلما رآه الناس يعمل بيديه الشريفتين اجتمعوا إليه ، وعملوا معه ، وهم يقولون :

لئن قعدنا والنبى يعمل فذاك منا العمل المضلل

وحمل صلى الله عليه وسلم متاعه من السوق إلى بيته ، وقال : صاحب الشىء أولى بحمله ، كما روى ابن ماجة فى سننه

وحين جاءه صلى الله عليه وسلم وفد الحبشة قام بنفسه يخدمهم ، فلما قيل له : نحن نكفيك يا رسول الله ! قال : هؤلاء خدموا أصحابى ، وأنا أولى بخدمتهم

والأمة كلها بلا جدال ولا خلاف خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن انظر إلى هذا الخلق العظيم ، الذى نحن مأمورون باتباعه ، والاهتداء بهديه ، قال عز وجل : "لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا"

بل إن من صناعة النكد أن يسأل إنسان إنسانا أن يعمل له شيئا ، وهو لا يريد ذلك الشىء ، ويعلم أن هذا الإنسان لن يقضى له حاجة ، ولن يعمل له شيئا ، لعذر أو لغير عذر ، لكنه من صناع النكد ؛ بدليل أنه يقول له : كنت أعلم أنك سوف تقول هذا

فإذا كان يعلم أنه سوف يقول : لا ، فلماذا سأله ابتداء ؟ ، إنه ما سأله ابتداء إلا من أجل أن يثير نكدا ، ويسمع : لا ، ويشهد الناس على أن ذلك الإنسان لا خير فيه ويحمل على هذا باب الإحراج ، وهو أن يسأل شخص شخصا آخر شيئا هو يعلم أنه لن يعطيه ، وذلك أمام الناس من أجل أن يحرجه أمامهم ، وذلك من النكد بمكان

وقد زار أحد الصحابة تابعيا ، فعطس التابعى ، فقال : السلام عليكم ، فقال له الصحابى : عليك وعلى أمك السلام ، وشعر بأنه أوجد منه فى نفسه فقال له : لعلك أوجدت منى ! ، فقال : وددت أنك لم تذكر أمى بخير أو بشر ؛ فقال : يا أخى ما قلت لك ذلك إلا لأن رجلا عطس فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال كما قلت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قلت لك ، وبين له أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إذا عطس أحدكم فليحمد الله" .

فإذا كان التابعى وهو من النجوم اللامعة قد شعر بشىء من الحرج لذكر أمه ، فما بالك بمن يذكر فيه وفى أمه وأبيه وأجداده كل حرج ، ساعة يقول : لا أستطيع ، أو آسف ، أو أعتذر ،،

سأل أحد الناس رجلا بسيطا مبلغا لبناء مسجد ، وكان المسئول مقيدا لا يملك ، فاعتذر ، وقال : كنت أتمنى ، كنت أود ، كنت أرجو ، لكنى والله يعلم لا أستطيع ، فانهال الرجل عليه بشىء من وابل النكد ، وكان مما قال : لا تستطيع ! عجبا ، وتدعى أنك شيخ ، وابن شيخ ، وأمك شيخة ، وأنك تحب المساجد ، وأنك بنيت مساجد !

- قال الرجل : لم أقل إنى بنيت مساجد ، وإنما دعوت الناس إلى بنائها

- وهل تدعو الناس إلى شىء لا تشاركهم فيه ؟ اظهر على حقيقتك ، وأمام الناس ، لابد أن يعرف الناس حقيقة أمرك ، قل ... قل أفصح عما بداخلك ، وأظهر معدنك للناس ، وقل لهم الحقيقة ، ثم يقول له : ولعلك ما سرقت من تلك الأموال التى جمعتها من أجل المساجد !

وهنا يغتاظ الرجل ، ولا يستطيع أن يكظم غيظه ، وينفجر فى وجه الرجل ، ويغلظ له فى القول ، وقد تجد من صناع النكد من الحضور من يزيد هذا المسكين نكدا بأن يلومه على انفعاله ، ويعتب عليه ، ويقول له هذا القول المعروف ، إذا كان هو قد أخطأ وأهانك أمام الناس فلا يصح أبدا أن تنفجر فيه هكذا ، وأن تقول له كذا وكذا ، فمثلك لا يقابل الخطأ بالخطأ ، ولا الشتائم بالشتائم ، حتى ينفجر فيه هو الآخر ، ويقول له سوءا.

- **العـــــلاج**

وقد رأيت أن علاج هذه المسألة ابتداء بأن تنظر فى السبب الظاهر كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يتقى الله عز وجل كل امرئ فى أخيه ، فلا يغيظه ، ولا يضيق عليه ، ولا يسأله شيئا هو يعلم ابتداء أنه لن يفعله .

وكما علمنا من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان فى خدمة أهله ، وإكرام ضيفه ، فمن وجد إلى ذلك سبيلا بحيث لا يسبب سؤاله غيره حرجا له أو نكدا عليه وعلى من سأله .

وأرى أن هذا من سلوك المسلم الذى ينبغى أن يسلكه ، ومن العبادة التى يتقرب إلى الله عز وجل ، ففى هذا رحمة بالناس ، وفى محكم التنزيل يقول الله تعالى :

"مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا"

الفصل الثالث

الآثار المترتبة

على صناعة النكد

١- إغضاب رب العباد ورسوله

أول أثر وأخطره على الإطلاق أن صناع النكد يغضبون الله عز وجل ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك ما سبق بيانه من براءة هذا الدين من النكد جملة وتفصيلا ،،

وسبب هذا الإغضاب العظيم أن الذين يصنعون النكد يقولون شيئا ليس من سبيل المؤمنين ، وقد قال عز وجل : "﴿١١٥﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا "

وسبيل المؤمنين ليس فيه نكد على الإطلاق ؛ لأنه سبيل من يعمل ، ويكسب ، ويأكل من عمل يده ، وينفق على من تجب عليه نفقته ، ويتنفل ، ويتصدق ، ويوسع على نفسه ، وعلى أهله ، ويحسن إلى جيرانه ، ويعد من ينفق عليهم بالقول الميسور حال العجز الذى سماه الله "ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا" ، أى أنه حال العسر يبتغى رحمة الله ، ورحمة الله تعالى قريب من المحسنين ، فانظر كيف أطلق ربنا عز وجل على حال الضيق ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ، فأى دعوة إلى الفرج وانتظاره تربو على هذه الدعوة التى هى وعد غير مكذوب وانظر إلى واقع الحياة كيف يقول من وصفه الله على رحمة منه يرجوها فأبى إلا أن يقول : من أين ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ وعليه العوض ، ومنه العوض ، ولا خير سوف يأتى ، ومن أين يأتى الخير ، وقد كسدت التجارة ، وذهب المال ، وكل الذى ذهب لا يعود ،،

وقد يتوجه إلى هؤلاء الذين لهم حق عليه ويقول لهم : إنكم السبب ، أنتم الذين أخذتم أموالى ، ضيعتها عليكم ، وأنفقتها على طلباتكم ، وكان بوسعكم أن تزهدوا ، وتكتفوا بما أعطاكم الله لكنكم كنتم طماعين ، وجشعين ، ولا تشبعون ، أنتم السبب وهكذا.

ويكفى أن نكد الرجل على عياله ، والزوجة على زوجها ، وأولادها من باب سوء العشرة ، وهو منهى عنه بلا خلاف ، إلى آخر صور النكد التى سبق ذكرها ، وغير ذلك.

٢- سوء العشرة

ومن الآثار المترتبة على النكد سوء العشرة بين الناس لا سيما الأزواج ، والأصل الأصيل فى خلق المسلم حسن العشرة ، روى البخارى فى صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها أن رجلا استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ائذنوا له بئس أخو العشيرة ، فلما دخل أحسن إليه ، فلما سئل عن ذلك قال : إن شر الناس من هجره الناس اتقاء فحشه "

وصانع النكد يقدم بصناعته فحشا عظيما فهو مهجور من الناس ، كاسد التجارة ، خائب السعى.

عرفت اثنين من البقالين ، كان أحدهما مهجورا من الناس إلا القليل لهذا السبب ، فهو من صناع النكد ، إذا سأله شخص عن شىء قال له : غير موجود ، وأظن أنه لن يكون موجودا أبدا ، فالحكومة (منها لله) ضيقت علينا وعلى الناس ، وفعلت كذا ، وزادت كذا ، حتى أصبح الفلاح لا يفلح ، والمستورد لا يستورد ،

وليس هذا فقط ، وإنما شحت السوق بكذا وكذا ، واسأل غيرى إن لم تكن مصدقى.

حتى يأس الناس منه ، بينما كان الثانى إذا سئل عن شىء ، فإما أن يقول وهو مبتسم : موجود ، ومنه صنوف كذا وكذا وكذا ، وإما أن يقول ، وهو مبتسم كذلك : سأحضره لك غدا بإذن الله ، فإذا مررت وجدته أو أرسل من طرفك شخصا لأعطيه إياه ، وإن شئت أرسلت به إليك إلى بيتك.

وقد رأيته بعينى وهو يوزع على الأطفال الذين يصحبون آباءهم وأمهاتهم إليه بعض الهدايا من الحلوى

ورأيت الأول ينهر طفلا نهرا عظيما لأنه مد يده على شىء مما أمامه وصاح فيه : ارجع إلى أمك ، وهات الجنيه ، حتى تأخذ قطعة من هذه ، أو النصف جنيه حتى تأخذ قطعة من ذاك ، طبعا ، أتظن أن هذه أو تلك مجانية ، وهل قال لكم أحد إن هنا سبيلا ، أطفال لم يؤدبوا ولم يهذبوا ، (حاجة تقرف) ، وقد أطلق الناس على هذا البقال العبارة المشهورة "يتخانق مع دبان وشه"

وقد ذكرت فى هذا الكتاب حديث البخارى الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما من قصة إبراهيم عليه السلام الذى أمر ولده إسماعيل عليه السلام أن يطلق امرأته لأنها لم تحمد لله ، ولم تقدم له القرى ، وقالت : نحن بشر حال ، بينما قال له فى امرأته الثانية : قد استقامت عتبة بابك ، لأنها حمدت الله وأثنت عليه ، وقالت : نحن بخير حال ، وقدمت له القرى ، ولدابته العلف.

وكثير من الناس إذا ذكر اسم واحد منهم قال الناس : أعوذ بالله ، من سوء خلقه وأدبه وأسلوبه فى المعاملة.

اركب سيارة أجرة ، ولاحظ ما عليه سائقها من كيفية استقبالك ، ومن صحبة فى طريقك ، تجد سائقا يلقاك كأنه يعرفك من زمان طويل يبتسم فى وجهك ، وتجده لين الجانب ، لطيف الحديث ، إلى درجة أنك تتحدث معه وكأنك تتحدث مع واحد من أهلك ، وتشعر بأن الطريق قصير وإن كان طويلا

وتجد آخر عابس الوجه من أول نظرة ، ينفخ فى وجهك ، ويلعن التاكسى ومشروعه ، ويشكو لك سوء الظروف ، وغلو البنزين وافتقاده ،،

هناك من يقول لك : ماذا تحب أن تسمع ؟ ويعرض عليك ما عنده من أشرطة ، من قرآن ، ودروس علم ، وأغنيات لطيفة ، ويعرض عليك الراديو أى محطة إذاعية تريد

وهناك من يفرض عليك ذوقه ، فتسمع مثلا خبطا وإزعاجا ، وتافه المعروض من الذوق الفاسد فى الغناء ، وبصوت ينذر أذنيك بالصمم إلى درجة أنك لا تملك مما رأيت من عبوسه إلا أن ترجوه أن يخفض الصوت قليلا ، فينظر إليك من فوق لتحت ، وينفخ ويجادلك ، ألا تحب هذا ؟ إنه فلان ، نجم الأغنية الشعبية هذه الأيام ، وهذا هو (اللى ماشى اليومين دول) ، ثم يقول لك : تراك من عشاق الست .. (يقصد أم كلثوم) لا أحد اليوم يسمعها ، فقد كانت تطيل ، وتعيد ، وتزيد لأنها كانت فى زمان (الرواقة) ، أما اليوم فنحن فى عصر السرعة وهلم جرا من هذا الحديث المريض الذى يجعلك تندم أن فتحت بابه

وكذلك الحال حتى عند الأطباء ، هناك طبيب علاجه فى أسلوبه قبل أن يكون علاجه فيما يصف من دواء والناس بلا شك تحب هذا ، فكون الطبيب يلقاك بابتسام ، ويبشرك ، ويهتم بك ، أمر يجعلك مهيئا مستعدا نفسيا للعلاج ، والنفس إذا استبشرت كان علاجها هينا ، ومن قديم كان أطباء اليونان يقولون

: إن البدن يمرض إذا مرضت النفس ، فعندهم أن أى مرض عضوى لا يكون إلا إذا مرضت النفس ، ونحن نستثمر هذا الذى قالوه فى التداوى ، فالنفس إذا صحت واستبشرت ، وتفتحت هان علاج البدن بخلاف العكس الذى سببه صناعة النكد ، من طبيب إذا لقيته نظر إليك من عل ، ولم يرحمك فى لقائه ، فأنت تكرهه ، ومن ثم تكره علاجه ، وتتناوله باشمئزاز نفس يشمئز لاشمئزازها البدن ، وفى الأجسام أسرار يعرف العلماء الكبار أبعادها والهرمونات التى بها تربو وتنخفض ، وتسلم وتنكسر ، وتستقيم وتنحرف لأسباب نفسية ، كما يكون منها لأسباب مادية

ويكون ذلك فى السادة المعلمين ، وفى هذا السياق أذكر أنه كان بمعهدنا معهد منوف الدينى رجلان من كبار العلماء ، كانا على مستوى واحد فى العلم تقريبا ، لكنهما كانا متناقضين فى سلوكهما معنا ، فالأول لين طيب رفيق والثانى نار مشتعلة ، إذا وجد خطأ أرغد وأزبد ، ولعننا وآباءنا ، وقال : حمير وأبناء حمير ، ولن تفلحوا أبدا

وقد كنت أكتب الشعر ، وهدانى الله إلى أن أعرض على الأول ما كتبت ، فكان يقول : الله ، ما شاء الله ، جميلة فكرتك ، طيبة عبارتك ، وخيالك عظيم ، وبيانك رائع ، لكن فى هذا البيت كسرا عروضيا ، فقصيدتك على بحر الكامل ، وانحرفت فى هذا البيت إلى الوافر ، فأقوم بالتعديل وأعيد عرض ذلك عليه ، فيقول : فتح الله عليك ، حتى درست العروض بعد ، وانتظم نظمى ، وشكرت للشيخ حسن توجيهه ورفقته ، والله يشهد أنى لو ذهبت إلى الثانى لما كتبت الشعر عمرى ؛ لأنه كان بلا شك سيلحظ هذا الكسر ، وكان سيقول

لى ما أكره ، وكم ذهب إليه مثلى ، فقطع له الورقة ، ورمى بها فى عينه ، وقال له : امش يا كذا يا ابن كذا

وهكذا ، والناس يعلمون أن هناك معلما كان سببا فى استمرار طالب العلم على دربه ، والتفوق فيه ، وأن هناك معلما كان سببا فى هروب طلابه ، وتسربهم من مدارسهم ، وبغضهم للعملية التعليمية ؛ لأن هذا المعلم من صناع النكد .

ويمتد هذا إلى الدعاة والوعاظ ، فمنهم من حظى بأن هدى الله تعالى على يديه من عباده ، ومنهم من كان سببا فى عزوف الناس عن الدعوة ، وعن الهدى

ولعلنا نتذكر قصة الرجل الذى قصد راهبا يسأله : هل له من توبة ، وقد قتل تسعا وتسعين نفسا ، فقال له : لا ليس لك من توبة ، فأكمل به المائة ، ثم ذهب إلى عالم من كبار العلماء فى زمانه ، وسأله هذه المرة ، هل له من توبة ، وقد قتل مائة ، فقال له : نعم ، ودله على ما يصلح الله له به توبته بأن يرحل عن البلدة التى تشجعه على المعصية إلى أخرى تعينه على التوبة والطاعة ، فعزم على ذلك ومضى فمات فى الطريق ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأرسل الله عز وجل لهم ملكا يحكم بينهم بأن يقيسوا المسافة بين جثته وبين البلدين ، فإن كان أقرب إلى بلد الرحمة كان من حظ ملائكة الرحمة ، وإن كان أقرب إلى بلد المعاصى كان من حظ ملائكة العذاب ، وطوى الله تعالى الأرض ، فكان أقرب إلى بلد الطاعة ، فأخذته ملائكة الرحمة ، ورحمه الله عز وجل .

وقد روى البخارى فى صحيحه قول النبى صلى الله عليه وسلم : "لله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها" ، فى قصة المرأة التى فقدت ولدها فى الغزو ، فلما وجدته ضمته إلى صدرها ترضعه فى حنان الأم الذى يعلو عند العثور عليه إثر فقده ،

فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه ملقية ولدها فى النار بعد أن حصلت عليه ؟ فقالوا : لا يا رسول الله ، وهى قادرة على منعه ، فقال عليه الصلاة والسلام هذا الحديث .

وعلى لسان نوح عليه السلام : "وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ" ،

فالدعوة إلى الله عز وجل دعوة إلى المغفرة لا دعوة إلى العذاب ، والله عز وجل يقول : "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا" ،،

لكن بعض الدعاة يرونها دعوة إلى العذاب بما يقولونه من أقوال غير مسندة ، أو من فهم سقيم لنص صحيح ، يحتاج إلى فقه أساليب كما فى قوله صلى الله عليه وسلم "من غشنا فليس منا" ونحوه

فالعلماء على أن قوله صلى الله عليه وسلم : "ليس منا" ، معناه : ليس من يكتمل بصفاتنا ، ويستن بسنتنا

والهواة من الدعاة يفهمون قوله صلى الله عليه وسلم "ليس منا" على إخراج من ورد فيه من حظيرة الإسلام بالكلية

ومن ذلك ما ورد فى الحث على فعل الفضائل كما فى قوله : "فلا جمعة له" أى فلا جمعة كاملة له ، وكذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم :"من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه"

فليس معناه أن الذى لم يدع قول الزور ولا العمل به أن عليه قضاء ما صامه ، وإنما معناه أنه عذب نفسه بالحرمان من شهوتى البطن والفرج ، ولم يحصل من ذلك على بركة صيامه

وليس معنى ذلك أن ندعو الناس إلى اللغو والإمام يخطب يوم الجمعة ، ولا إلى قول الزور والعمل به فى نهار الصيام ، وإنما أن تخرج الناس من الدين ، وأن تحبط أعمالهم ، على غير فقه فهذا أمر صعب لا يرضى الله ورسوله ، وأنت بذلك تجلب عليهم النكد ، وتنفرهم من دين الله ، الذى يدعو إلى رحمته ، وواسع مغفرته ، وفضله العظيم ،،

وكذلك الإمام الذى يصلى بالناس ، ويطيل فى صلاته ، ورد فى ذم هذا ما رواه البخارى فى صحيحه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "إن منكم لمنفرين" فى هذه المسألة ، وقد غضب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا لم ير مثله ، حين شكا إليه رجل أنه يتأخر عن صلاة الغداة بسبب الإمام الذى يصلى بهم ويطيل ، وفى روايات متعددة صحيحة يقول صلى الله عليه وسلم : "من أم بالناس فليخفف فإن منكم المريض والمسافر وذا الحاجة"

ومن العجيب الذى يثير النكد كذلك أن الذين يطيلون فى الصلاة بالناس يكتبون على مساجدهم مسجد السنة ، فكيف يكون العنوان غير مطابق للمعنون ، والأصل أن يكون مطابقا له ؛ لأنه دليل عليه ، فمن قرأ "مسجد السنة أو أهل السنة أو أصحاب السنة أو السنيين" استبشر أن الأئمة فى هذا المسجد يخففون فى الصلاة ، لأن التخفيف فيها من السنة ، وقس على ذلك أمورا كثيرة سوف يأتى بيانها فى الأثر الآتى .

٣- زرع الريب والظنون فى نفوس الناس

ومن خلال ما ذكرت فى الأثر السابق من آثار النكد وصناعته أقول : كما أن الذى يمر بمسجد أهل السنة ويرى الإمام فيه يثقل على الناس فى الصلاة

بالإطالة فيها كذلك يحدث الريب والظنون فى كل عنوان يبعث على البهجة والسعادة ظاهره ، ثم يبدو لمن دخله أن الباطن خلاف الظاهر ، وقد يكون هنالك عنوان صادق ، لكن الذين لسعوا من مثله عنه ينأون ، وفيه يزهدون ، وإلى غيره ينصرفون

حكى لى شاب أنه تزوج بفتاة عرفتها أخته فى أحد المساجد الكبرى ، كانت شبه دائمة الاعتكاف فيه ، ووصفتها له بالحسن فى الشكل ؛ فظن أنها جمعت بين حسن الشكل كما وصفت أخته ، وبين الحسن فى الخلق كما أخبرته بحالها مع هذا المسجد الكبير ، وتزوجها فوجدها على غير ما ظن ، وأنها بذيئة اللسان ، سيئة الخلق ، وانتهى الأمر إلى طلاق بلا رجعة ، وأنه قابله زميل له ، وأفصح له عن رغبته فى الزواج بفتاة مسلمة من رواد المساجد ودروس العلم ؛ فقال له هذه العبارة : "أن تتعرف عليها فى خمارة أولى من تعرفك عليها فى المسجد ، واسأل من جرب قبلك"

وكذلك قالت فتاة فشلت مع زوج كان ذا هيئة دينية ، ومن رواد المساجد ، وحملة الكتاب العزيز ، سقاها المر ، وأهلها ، قالت لصاحبتها : احذرى بتوع الدقن والسبحة والكلام فى الدين.

فانظر إلى هذه اللفظة "بتوع" وتأمل ما تحتها من إيحاء أنت تعرفه بمجرد إطلاقها من الاستخفاف والازدراء ، إلى آخره ، ووجهتها إلى أن تتعرف على شريك عمرها كما قالت "عادى" ، هكذا قالت : "شخص عادى" ، وأقسمت بالله أنه أفضل بكثير من هؤلاء الذين يرتدون ثوب الفضيلة ، ولا يعرفون من مقتضاها فضلا ولا خلقا حسنا ، وأخذت تقص عليها من ويلات ما لاقت مع الذى تزوجته ،

وتنازلت من أجله عن النفيس والغالى ، وقالت تلك العبارة الشائعة : "قلت إنه سوف يتقى الله فى"

نكد عليها عيشها كما نكدت الأولى علي رجلها عيشه ، فكان من أثر ذلك أن ارتابت الصدور فى أماكن الخير ، وفى تلك الصفات التى هى بلا شك موطن الخير ، ولا تخلو من صالحين وصالحات .

وفى هذا السياق يطيب لى أن أذكر قصة أبى دجانة رضى الله عنه حين أخذ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقه ، وهو أن يقاتل به حتى ينحنى ، وأخرج عصابته الحمراء ، وانطلق يتبختر بين الصفوف ، وقال فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا فى هذا الموطن

وكان فى جيش الكفار ملثم يركب فرسا ويجهز على الجريح من المسلمين ؛ فيقضى عليه ، فاتجه نحوه أبو دجانة ، فلما رفع نحوه السيف ولول ، فإذا به امرأة ، فقال الصحابى الجليل أبو دجانة رضى الله عنه : لولا أن يقال قتلت امرأة بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتلتك

ولم يقتلها أبو دجانة - رضى الله عنه - ؛ حتى لا يقال قتلت امرأة بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ،،

فهلا قال ذلك الشاب : لولا أن يقال إن رواد المساجد وحملة القرآن الكريم قساة القلوب لقسوت عليك ، وأن تقول تلك الفتاة : لولا أن يقال إن الفتيات اللاتى يتعرف عليهن فى المساجد سيئات لأسأت إليك ، هذا إن كان الطرف الآخر مسيئا.

والشاهد أن هناك نوعا من الجهاد لا يلتفت إليه كثير من الناس ، ومنه مقاومة النكد ، وطرحه بإزالة أسبابه

ومن ذلك جميع العناوين البراقة التى تسبى النواظر ، وتبعث فى النفوس حبها ، وحب التعامل معها ، فلما كان ما كان من غش وخداع صرفت أبصار الناس عنها ، وكانت الدعوة إلى غيرها ، صراحة لا تلميحا ، وذم الناس من لا يستحق الذم فى أصله الأصيل

والناس إذ يذمون لا يكتفون بالمذموم وحده ، وإنما يطلقون الذم عليه ، وعلى بلده بكل ما فيه ، فالرجل يلقى سوءا من رجل فى المنوفية فيلقى بالذم على جميع من فى المحافظة ، والأمثلة المضروبة فى المحافظات معروفة ، ومحفوظة ، ولا تكاد محافظة تخلو من ذم ، وهو على عكس الصواب والموضوعية التى يفرضها الدين ، والعقل السوى بلا جدال

وفى النهاية يقول لك من ذم بلدك ، ومحافظتك : ومن المؤكد أن أصابعك ليست واحدة ، وطبعا أنت من الكرام المعدودين فى تلك المحافظة ، وذلك بعد أن مزقك ونكد عليك.

عدم الشعور بلذة النعمة

ومن الآثار المترتبة على النكد وصناعته عدم الشعور بلذة النعمة ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى أصحاب الجنة :"وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ" ، وفى تفسيرها يقول الزجاج : إن الغل سواد يتناقض ونعيم الجنة ، لذلك نزعه الله تعالى من صدور أصحابها لينعموا بما فيها

وهكذا الدنيا لا تخلو رغم الأكدار من نعيم إلا أن النكد يفسد هذا النعيم ، وإليك هذه النماذج :

- عند حضور الطعام ، ترى ثورة نفسية ، وعتابا وغضبا ، واعتراضا ، وسؤالا عن صنف غائب ، ونداء لمن لم يسرع إلى المائدة ، وقذفا للسم فى بطون بعض الآكلين ، كالولد الذى حصل على درجات ضعيفة فى الامتحان ، يقال له :

أنت فقط تحصل على درجات الامتياز فى الأكل ، أنت لست مفلحا إلا فى تناول الطعام ... كل كل ، فأنت لا تعيش إلا لتأكل ، فمن ذا الذى يشعر بلذة الطعام

- وكذلك العتاب والحساب عند المعاشرة الزوجية ، وفى الغالب يكون ذلك من جانب المرأة ، وكأنها تعتقد أنها ذات فضل كبير عليه هنا ، فى هذا السرير ، وفى هذا الوقت ، مع أنها صاحبة فضل عليه إذ غسلت وطبخت وللبيت نظفت وللأولاد ربت .

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم الرجل أن يضرب زوجته ، من أجل أنه قد يحتاج إلى معاشرتها ليلا فكيف يضربها بالنهار ، ويرجو أن يستمتع بها بالليل ، ولا ينصرف الذهن إلى أن النهى من أجل ذلك فقط ، فإن الضرب محدود مشروط بأن يخاف منها نشوزا ، أو أن يرى منها انحرافا ، وذلك بعد الوعظ الخفيف والهجر فى المضجع ، وألا يكون الضرب مبرحا ، وإنما قصده صلى الله عليه وسلم أن يستمتع الرجل بامرأته فى تلك العلاقة الطيبة المشروعة ، إذ كيف يستمتع بها وقد جلدها .

هذا وبعض فاقدى الإحساس يتصورون أن هذا من حقهم ، أن يجلدوهن فإذا طلبوا معاشرتهن ليلا وجدوهن على أتم استعداد لهذا اللقاء ، فهل يعقل ذلك عاقل !

- وكذلك هذا الأنموذج الذى يتكرر فى مواطن كثيرة من مواطن الحياة ، فيفقد الإنسان الإحساس بالتلذذ بنعمة الله عز وجل ، من رجل يعود إلى بيته فيقول لمن معه ، الذى قد يكون سائقه أو صاحبه : عدت إلى النكد ، ورجعنا إلى العذاب ، وقد يكون هذا العائد عائدا إلى رفاهية ، ورغد من العيش ، وحسن فى العشرة والمعاملة ، لكنه المثل السائر ، أو الذى يشبه المثل السائر من

نتاج صناعة النكد ، وشيوع نتاجها ، والعجب أن الناس يظنون ذلك من قبيل الإضحاك ، فانظر حتى فى الإضحاك لا يخلو من نكد ، ومن عباراته ، فالذى يقول هذا كيف يشعر بلذة العودة إلى بيته ، وحسن معاشرة أهله ، وما يقدم له من زاد وماء ، وما يكون معه من حوار ؟

فهل تجد ذلك متساويا وقول الناس مع سيد الناس صلى الله عليه وسلم حين يعودون إلى المدينة "أيبون عائدون" ، إنهم يفرحون بعودتهم إلى ديارهم وأهليهم وشتان ما بين إنسان يفرح بعودته إلى بيته وأهله ، وبين آخر يقول : عدنا إلى النكد ورجعنا إلى العذاب .

لا شك أن الذى يعلن سعادته ، ويعرب عنها شاكرا ربه الذى أنعم عليه بنعمة العودة سالما غانما ، أو كانت غنيمته أن عاد ، فقط عاد ، وعد هذه العودة غنيمة ، كما قال الأول : رضينا من الغنيمة بالإياب

وهذا المعنى من المعانى الغائبة فى زماننا مع الأسف ، وسببه أن الناس باتوا يرجون من العائد ثروته ، وما عاد به إليهم ، من عطايا ، طغت المادة حتى توارت معانى المودة ، والرحمة والإنسانية .

وقد تأملت حديث البخارى الذى رواه عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه حيث هاجر وجماعة معه من الشباب ، ومكثوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو شهر واحد ، فلحظ رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقهم إلى أهليهم ، فقال : ارجعوا إلى أهليكم ، وأوصاهم صلى الله عليه وسلم بالصلاة ، وأن يؤذن أحدهم وأن يؤمهم أقرؤهم ، قال مالك بن الحويرث : وكان صلى الله عليه وسلم رفيقا ، أى من رفقه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالرجوع إلى أهليهم لما قرأ ذلك فى وجوههم .

وأدركت مع هذا التأمل والتدبر أنهم ما اشتاقوا إلى أهليهم إلا لأن أهليهم يحسنون إليهم ، ويرحبون بهم ويفرحون بعودتهم ، وهم يجدون الحياة بينهم كما قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها متمثلة :

مات الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى كنف كجلد الأجرب

طبيعى أن تعود إلى أهلك بما يحقق لهم الحياة الكريمة ، لكن المشكلة فى تناول هذه المسألة ، أن يكون ذلك مما يشبه العرض لا الأساس مع أنه أساس وأصل لا مفر منه ، لكنك تبحث عن شىء آخر ، وأنت تجد عند أهلك هذا الشىء الذى تبحث عنه ، وهو مودة الروح ، وغذاء القلب ، وهم يمنحونك هذا دون سؤال : لأنهم فى شوق إليك قد يكون أشد من شوقك إليهم ، هناك فرق بين أن تعطى امرأتك أو ولدك أو والدك شيئا ، وأنت تحضن مودته ، وهو يتناول منك ما تعطيه ويعطيك روحه قبل أن يمد إليك يده ، وبين أن تعطى عن حفاوة ، والذى يعطيك يستقل عطاءك ، ويمد إليك يده دون أن يمد إليك طيفا من روحه ، وطائفة عظيمة من حبه ، وشعاعا من نور قلبه الذى أضاء فقط حين رآك

كما أن هناك فرقا بين الحديث الذى كله مطالب مادية ، وبين الحديث الذى هو خليط من الأمور المادية والمعنوية ، إلا أن هذا الحديث نوعان :

- حديث تغلب فيه المادة
- وحديث يغلب فيه المعنى

وهذا الصنف الثانى هو المطلوب ، لأنه الحديث البعيد عن النكد ، أما الحديث الذى يغلب فيه الجانب المادى على الجانب المعنوى فأكثره حديث نكد ..

تصور رجلا دخل على امرأته فألقى السلام عليها ، وكان حديثها معه بعد ردها السلام ، إن ردت عليه السلام :

- هل أحضرت كذا وكذا ؟ أنسيت أن أكتب لك كذا وكذا ، فإن قال آتيك به غدا إن شاء الله قالت : واليوم طلبت المعلمة مصروف الدرس لولدنا فلان ، وانتبه ، علينا لها أجر شهرين ، والمدرسة الأخرى التى تدرس له الإنجليزية موعدها الأسبوع القادم ، أما البنت فهى الأخرى تحتاج إلى درس خاص ، وكلهم فى حاجة إلى كتب خارجية ، فكتب المدارس لا خير فيها ، وعلاج فلان قرب من النفاذ ، ويبدو أن هذا الطبيب الذى ذهبت به إليه لا يفهم شيئا فى الطب ، سمعت أن هناك طبيبا لا أذكر اسمه يقال إنه ماهر ، وإن كان أجره حراقا ، وفلان من الأولاد يود تغيير جهازه المحمول ، فهو ذو كاميرا واحدة ، وينظر إلى زملائه يحملون جهازا ذا كاميراتين ، وقبل مجيئك بساعة وصل محصل فاتورة الكهرباء والغاز معه ، وطلب كل منهما مبلغا كبيرا ، ماذا أفعل ؟ ماذا أقول ؟ والله الدولة ظالمة ، وهذا افتراء ، ما عسى أن يطلب محصل الكهرباء لو كان عندنا تكييف أو سخان كهربائى ، حتى بواب العمارة جاء يطلب كهرباء السلم والمياه والصيانة ، أعانك الله ، والله كنت أود أن أقول لك إن لى رغبة فى تغيير هذه الغرفة التى بلى أثاثها ، وكنت أنوى أن أنجد مع جارتنا ، فقد قالت لى إنها سوف تنجد مرتبتين الأسبوع القادم ، لكنى أرى أن ظروفك لا تسمح الآن ، فلننتظر قليلا حتى يفرج الله الحال

هذا قليل من كثير مما يحدث فى كثير من بيوت الناس ، فهل تظن أن مثل هذا الرجل يعيش أنسا ومودة ، ويلقى من معين المحبة شيئا !

لا شك أنه يرى ما يحتاج إليه أولاده ، وما يحتاج إليه بيته ، ولو أعطيناه فرصة ليلتقط أنفاسه ، ويأكل لقمته ، ويركن إلى مضجعه ، وينام قرير العين ، وينادى ولده ، ويسأله عن حاجته ، ويعطيه دون أن تسقط عليه هذا الوابل لكانت امرأته به رحيمة ، فإن كان من الذين لا يعطون إلا إذا سئلوا سألته بلطف ، وكان من اللطف أن تقول له مثلا : هل أجد معك مبلغ كذا ؟ ، على وجه الإجمال ، فإن سألها : وفيم تصرفينه ؟ كانت جاهزة بأن تذكر له التفاصيل ، فنحن نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخر لأهله قوت سنة ، ولا شك أن فى هذا القوت تفاصيل ، وهناك فرق بين أن تقول زوجة لزوجها :إن المطبخ فى بيتك العامر يحتاج إلى عمران يكلفك كذا ، وبين أن تقول له : لا زيت عندنا ولا سمن ولا شاى ولا سكر ولا أرز ولا ملح إلخ

فتصدمه بتلك التفاصيل التى تشعره بأن البيت خراب . وأن عودته إلى الرخاء سوف تكلفه ما لا طاقة له به

والناس متفاوتون فى أحوالهم المادية ، كما أنهم متفاوتون فى أحوالهم الاجتماعية والعلمية ، فهناك رجل يأكل فى مطعم من المطاعم ، ويسأل خادمه : كم علينا ؟ فيقول : ألف ، فيعطيه الألف وزيادة ويشكره ويمضى ، وهناك آخر يأكل ثم يقول : كم علينا؟ فيقول له : مائتان ، فيقول : وماذا أكلت ؟ حتى أدفع هذا المال الكثير ! ، فيقول : أكلت كذا وهو بكذا ، وكذا وهو بكذا ، وكذا وهو بكذا ، وعشرة فى المائة خدمة ، وعشرون فى المائة ضريبة مبيعات وسياحة ، فيأخذ فى الاعتراض على ثمن كل صنف ، ثم يقف عند قوله (سياحة) ويسب ويشتم ، ويقول : وهل هذا محل سياحى ، إنه دون مستوى العادى ، فضلا عن كونه ينتمى إلى السياحة ، إن أكلكم ردىء ،

وطعمه ماسخ ، والمحل برمته ردىء ، وسوف أبلغ الجهات المسئولة ، وهذا أيضا من النكد بمكان ، وكان بالإمكان أن يسأل عن الثمن قبل أن يطلب فيريح ويستريح إن أعجبه أكل ، وإن لم يعجبه لم يأكل .

- وكذلك الحال مع الذى يذم صنفا من صنوف الطعام ، لا يشعر من يحبه ، وقد اعتاد أكله بلذة الإحساس به ، وقد يجلب على نفسه هذا الشعور البغيض ، وهو يأكل الصنف الذى يحبه ، لأن النكد يجلب النكد ، والسوء يأتى بالسوء

،،

والمعهود عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أنه ما ذم طعاما قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه دون أن يذمه

وقد أكل الضب بين يديه صلى الله عليه وسلم ، مع أنه لم يكن يشتهيه ، فما ذمه ، أكله خالد بن الوليد رضى الله عنه بعد أن سأله : أحرام هو يا رسول الله ؟ ، فقال : لا ،،

وانظر إلى حال كثيرين من الناس إذا جلسوا على مائدة فيها صنف لا يشتهونه ، ويشتهيه غيرهم ، ويقبل عليه بطيب النفس ، وسيولة اللعاب ، فإذا به يذم هذا الصنف من الطعام ، ويقول لمن يشتهيه : لا أدرى كيف تأكل هذا ؟ ، وكيف تستسيغه ؟ ، والله أنا أفضل أن أموت جوعا ، ولا آكل هذا الصنف ، ويسقط عليه وابلا من الذم والسخط ، وربما ادعى أن هذا الصنف ضار للبدن والنفس ، وغير ذلك مما يثير النكد

- وليس الأمر فى هذا الذى يتصل بالغذاء ، وإنما له امتداد حتى فى العلم ، يقول له : أية كلية دخلت ؟ فإن قال : الآداب ، قال : كلية سيئة السمعة ، وإن قال : الهندسة ، قال : كلية مكلفة ومرهقة (على الفاضى) ، وهكذا يضع

العراقيل ، ويصب النكد فى طريق من اختار كلية ، هى بلا شك محترمة ، ويكفى أنها اختياره ، وهو فيها راغب ، وسوف ينجح ويتفوق فيها ، ويثمر خيرا لنفسه ولمجتمعه ، فلا يشعر طالب العلم بلذة تحصيله فيها ، والعلم من كبرى النعم .

- ناهيك بمن يخببون امرأة أى يفسدونها على زوجها ، والعكس ، وقد قال فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما روى البخارى فى صحيحه : ليس منا من خبب امرأة على زوجها ، وقد قال لى أحد الثقات إن شخصا على سبيل المزاح قال له : أتظن أن التى عندك امرأة ، أراك تمدح فيها ، وتكاد تقول فيها الأشعار ، وهذا وربى من حلاوة عينك ، لكن مثلك لا يدرى شيئا عن النساء ، وحسنهن ، قال : ومع أنه قال لى فى خاتمة كلامه : إننى أمزح معك ، وامرأتك سيدة النساء فى زمانها ، وقد أكرمك الله بها إلا أننى عدت وفى صدرى شىء منها.

تذكرت فى هذا السياق نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أن يقول له أحد فى أصحابه شيئا ، قال : فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر

وكم من صدر هو دون صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثير لم يسلم من أثر صناع النكد الذين يفسدون الحياة وهى جميلة طيبة على من هو مقبل عليها ، إن قلت له : حجزت بمصر للطيران ، قال : ألم تجد غيرها .. إنها وإنها وإنها ، وإن قلت له : على الخطوط السعودية ، قال : أعوذ بالله إنها تلغى معظم رحلاتها ، والخدمة فيها سيئة ، وإن قلت له : سوف أسافر بالقطار ، قال : أعوذ بالله ، إن السكة الحديد حالها هذه الأيام على أسوأ ما تكون ، وإن قلت له : سأسافر

بالسيارة ، قال : خطر عليك ، فالطريق طويل ، وغير معبد للمسير بالسيارة ، وقد تتعطل منك ، وقد تنام وأنت تقودها ، وقد ينالك من خطأ غيرك ما لا تحمد عقباه .

وهكذا هناك من لا يمدح شيئا أبدا ، ولا شيء يرضيه على الإطلاق

ومن هؤلاء صنف أقل خطرا ، وهو ذلك الصنف الذى يذم ما تريد ، ويمدح غيره ، بمعنى أنك إذا قلت له : سأسافر بالقطار ، قال لك : السيارة افضل ، وإن قلت له : سأسافر بالسيارة ، قال لك :القطار أفضل .

وقد فهم هؤلاء أناس كثيرون ، ومن ثم فهم يذكرون لهم ما لا يحبون ، حتى يذموه ، ويذكروا غيره الذى يحبون بالمدح ، قال لى أحد الشيوخ الحكماء : ما قلت ذات يوم لزوجتى شيئا إلا اختارت غيره ، وكم قلت لها : إن لى رغبة فى المحشى اليوم ، حتى قالت : الملوخية طيبة ، وخفيفة على معدتك ، قال : فكنت إذا أردت المحشى قلت لها : ما أجمل الملوخية اليوم ، فتقول : يبدو أن المحشى الذى أعده لا يعجبك ، فأقول : إذن هو المحشى ، فتقول : نعم .

فهذا رجل استطاع بهدوء أن يعالج حاله مع امرأته التى يقال فى مثلها ومثلها كثير (خلف خلاف أو الشريك المخالف) ، ولكن ليس بوسع كل إنسان أن يعالج حاله على هذا المنوال ، فنحن نرى كثيرا من الناس إذا أراد شيئا أصر عليه ، وقال لزوجه : سوف تعدين هذا الشيء ، ورجلك فوق رقبتك ، بل إن منهم من يسألها دائما خلاف ما تهوى ، لا لشيء إلا من أجل إثارة النكد

٤ - الأمـــــراض

ومن الآثار المترتبة على النكد ، الأمراض ، عضوية ونفسية ، والنفسية أكثر بلا شك ، ولاتصدق ان هناك من اعتاد النكد ، وتعوده كالذى تعود الضرب (وجسمه نحس)، فلم يعد يؤثر فيه ، فإن صدق المشبه به فلن يصدق المشبه ، بدليل اتفاق الناس على أن الجرح المادى أهون بكثير من الجرح المعنوى ، وأنه مع الأيام يندمل ، ولكن جرح القلب مع الأيام يزداد ، ولا يندمل بسهولة ، ولله در شوقى حين يقول :

إن ملكت النفوس فابغ رضاها　　فلها ثورة وفيها مضاء

أى قد يخدعك شخص بصبره ، وطول نفسه ، فيغرك هذا حتى تظن أنه يستمرئ العذاب ، ويعتاد النكد ، فتصل إلى حد من قال : إنه لا يأتى إلا بالنكد ؛ فتتمادى فى نكده حتى ينفجر فيك ذات يوم من حيث لا تحتسب ، وعندها ستجده وحشا كاسرا ، ومنتقما شديد الانتقام .

ألست ترى الشعوب العربية كيف هبت فى وجه النظام وأفسدت عليه وجوده الظالم ، وقد كان يظن أن سياسة النكد هى الصالحة لقيادة الشعب ، وأنه لا ينقاد إلا بالحديد والنار ، والبؤس والفقر ، والتعذيب ، والقتل أحيانا ، وكان الناس يقول بعضهم لبعض : احذر الكلام فى السياسة ، والشخصيات الكبيرة حتى لا تذهب وراء الشمس ،،

وفى لحظة واحدة هب الشعب فى نفس واحد وبدون قيادة إلا قيادة النفس التى طفح كيلها وقام بثورة كان لها من الضحايا ما كان ، من قتلى وجرحى وانهيار ، وتفلت أمنى ، وانتشار للمجرمين ، وتفرق الكلمة وتعدد الصفوف

والمشارب ، ولن يهدأ الحال بين عشية وضحاها ، ولكن عند كثير من الناس ، مهما يكن من شيء فقد تخلصنا من هؤلاء .

وقد كان بوسع النشطين من الشعوب أن ينظموا ثواراتهم ، بحيث يصنعون الخطة المحكمة ، والدستور العادل ، والرئيس المؤقت ، بحيث إذا نفروا قالوا هذا يمشي وهذا يقعد مكانه ، حتى يتم انتخاب رئيس ، ولكنها الثورة ، التي هي أشبه ما تكون بمن يستجير بأي شيء ليرفع الخناق عن رقبته ، ولو كان الذي يمد إليه يده عدوه .

ويسبب النكد انتشار علل النفس في النفوس ، والتي إن حصرها علماء النفس ، والفلاسفة وغيرهم فسوف يبقى منها ما لم يكتشفه أحد ، مثل هذه التجربة التي أجراها بعض علماء الاجتماع ، ذهبوا بملكات جمال الكون إلى غابة بعيدة في جنوب إفريقية ، حيث عرضوهن على رجل لم ير مثلهن يوما في حياته ؛ ليروا أيتهن تجذبه ، ووقفت الحسناوات صفا ، وجيء به ؛ فلم يحفل بواحدة منهن ، وكانت المفاجأة أن نادته امرأة من لونه وعرقه ، لا شيء من مقاييس الجمال الذي فيهن فيها ، فترك الحسناوات ، وجرى إليها ، يصرخ إليها كما صرخت عليه ، وكتب أحد الباحثين عبارة في هذا المشهد مفادها أن الجمال كما هو حسي ، معنوي أيضا ، وأن للنفس أسرارا لا تدرك .

وقد ذكرت في كتاب " أمهات طواهن الموت " قصة زينب الجبالي - رحمها الله - التي لم يكن شيء فيها من أنوثة وعشقها زوجها عبد الله سلامة - رحمه الله - عشقا لم تعرفه قصص الحب والغرام ؛ وذلك لأنها كانت به رحيمة ، وعليه عطوفة منعطفة ، وكانت تعرف دق أرجل حماره على الأرض ، وبينها وبينها مسافات ، وجدر وحواجز .

وقد أثبت في كتاب " الحب بين الذات والسبب " أن للحب سببا فهو لا يكون للذات إلا عند الذين ينظرون بأعينهم وبعد حين يلعنون كل ذات وشكل ، ويندمون على سوء ما فعلوا

وكذلك تلك العلل التي هي من أسرار النفوس ، قد يكون سببها كلمة سيئة من معجم النكد ، وهو واسع جدا ، والناس صنوف في هذا الأذى ، منهم من يغفر ويعفو ويصفح ، ومنهم من يغفر لكنه غير قادر على الصفح ، أي لم يستطع طي هذه الكلمة التي أساءت إليه يوما ، سواء أكانت بين الناس وهي أشد ، أم كانت بينه ومن أساء إليه .

نعم ، قد يصحو من نومه فزعا توقظه تلك الكلمة التي لم تعد كلمة ، وإنما صارت كتابا في الأذى ، بما توحي به من إشعاعات معنوية كالسخرية والاستهزاء والاستقذار ، وأنه لا يساوي شيئا ، ولم يحقق نجاحا ، إلى آخر هذه الإيماءات التي قلت إنها صارت كتابا من البؤس ، والأصل في هذا الكتاب تلك الكلمة .

والعجيب أن الذي يطلقها إنما يطلقها على كل من يسيء إليه ، فهي بمثابة الأكلاشيه لا يفرق بين إنسان يستحق شيئا منها وآخر لا يستحق ، كأن يقول " يا فاشل " ، هناك فعلا فاشل ، وهناك متفوق جدا وإن فشل في جانب فهو غير فاشل في جوانب أخرى ، فحين يسمع هذه الكلمة يتصور أنه فاشل في كل جانب .

وأصعب شيء على النفس البشرية أن يقال فيها ما ليس فيها ، ويمكن تسمية ذلك "الجحود" ، والجحود من صفات المشركين الكاذبين ، لا من صفات المؤمنين الموحدين المدعين حبهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي خدمته طائفة

من الناس تجاوزوا المائة والعشرين ، عبر بلسانهم أنس بن مالك ـ رضى الله عنه وعنهم ـ حين قال : خدمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سنين ، فما قال لى لشىء فعلته : لم فعلته ؟ ولا شىء لم أفعله : لم لم تفعله !

فما عسى أن تقول فى رجل لا يترك امرأته دون تعقيب ، بأن يقول : لم فعلت هذا ؟ ، ولم لم تفعلى ذاك ، أو على الأحرى دائما ما يقول لها : لم لم تفعلى كذا وكذا ؟ ، حتى تقول له : أذكر لى شيئا فعلته من أجلك وأرضاك حتى ترحمنى من هذا النقد الدائم ، والاعتراض الذى لا يتوقف وتبكى ، وبعد حين يجف البكاء ولكن لا يجف حديث النفس الذى يضغط عليها شيئا فشيئا حتى تنفجر فى وجهه ، أو تنفجر وحدها .

ومن الناس من ينفجر وحده ويكون انفجاره فى نفسه فلا يشعر به أحد إلا بعد أن ينفجر ، فيصبح شبحا بعد أن كان إنسانا ، وخاملا بعد أن كان نشطا ، وساكنا بعد أن كان متحركا ، ويعيش حياة هى التى أسميها : حياة كلا حياة .

ومن المهلكات حقا أن يعيش الحياة كلا حياة ؛ لأنها أشبه ما تكون بالعدم ، والعدم عند الذين يعقلون خير منها ؛ لأن هؤلاء كما قال الله ـ عز وجل ـ فى أهل النار "وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ"

ففى الموت راحة ، وفى تخفيف العذاب راحة ، أما العذاب الحقيقى فهو ألا يكون موت ، وألا يكون تخفيف العذاب ، وكذلك الحياة التى هى كلا حياة لا حصلت حياة ، ولا تخلص منها صاحبها بالموت .

وقد كتبت ذات مرة عن اختلاف طعم الطعام لاختلاف من يأكله معهم ، مع أن طعمه فى الأصل واحد ،

فالذين سعدوا بالأكل مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا يأكلون الطعام نفسه فى بيوتهم ، وطعمه واحد ؛ لأن مكوناته وطريقة إعداده واحدة ، فما سبب لسعادتهم إلا لوجودهم فى شرف معيته صلى الله عليه وسلم .

وقد قلت : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصادقين فى حبه واتباعه يقدمون الحياة "أسبابها" على طبق الحياة ، وكثير من الناس يقدمون الحياة على طبق الموت .

ويتجسد تقديم الحياة على طبق الحياة فى ابتسامة ، وطيب نفس ، وحب صحبة ، وجمال كلمة .

ويتجسد تقديم الحياة على طبق الموت فى عبوس ، وخبث نفس ، وبغض صحبة ، وسوء كلمة .

والحق ـ تعالى ـ يقول فى آيات سورة إبراهيم : "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾"

أنظر مثلا إلى قول رجل لزوجته "أنا لميتك وسترتك .. ، أو أنا أطعمك وأسقيك ، أو أنت من غيرى لا شىء ، أو أنا الذى جعلت لك ولأهلك قيمة ..."

هناك زوجة تسمع ولا تسمع ، وهناك من تسمع وتلوم ، وهناك من تسمع وتقول : طبعا بارك الله فيك ، وهناك من تسمع وتحبس معنى ذلك فى نفسها حتى تمرض مرضا لا يستطيع كبير الأطباء النفسيين اكتشافه ؛ لأنه من علل النفوس الخافية.

عرفت ساعيا بمكتب مدير كبير ، كان كلما ناداه ذلك المدير يقول : يا حمار ، تعال يا حمار ، انظر ماذا يشرب البك يا حمار ، امض بهذه الورقة يا حمار.

والساعى يبتسم ويقول : لبيك ، وعلى عينى ، وحدثه ذات يوم رجل من ضيوف المدير ، وقال : أنا أعتذر لك عن هذا السلوك الذى آذانى والله ، فقال ذلك الساعى : أى سلوك يا فندم ؟

قال : قول المدير لك يا ...

فضحك وقال : لقد اعتدت ذلك ، ولكن ذلك ليس مشكلة عندى ، ثم قال تلك العبارة الشائعة : " إنه يقول ما يقول ولكن قلبه طيب "

وما كل الناس مثل هذا الساعى ، يعلل للإساءة بعلة ترضيه ، وهى طيب القلب وصارت هذه من المسائل الاجتماعية ، أو القضايا الاجتماعية ، أن تقول : إن فلانا سيء اللسان ولكنه طيب القلب ، ويرد على فساد تلك الدعوى بقول الشاعر :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن المعهود عن سيد الوجود ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه كان يمزح ولا يقول إلا حقا

ونحن على علم بأن المزاح فى زماننا لا يعرف الحق ، وانما سبيله - النكد - من سخرية بالخلق والخلقة ، والسباب واللعان ، والشتائم ، والنكات التى تطلق خصوصا على أهل

الصعيد ، بأنهم لا يفهمون ، يقول صاحب هذه النكات: إن رجلا من الصعيد أراد أن يشرب اللبن ساخنا ، فأشعل النار تحت البقرة حتى احترقت ..

ويقول آخر : إن رجلا من أهل الصعيد ركب أتوبيسا مزدحما ، وكان محصل التذاكر يمر قائلا : تذاكر يا حضرات .. تذاكر .. تذاكر ، فكان كلما مر به أعطاه وأخذ تذكرة ، فلما نزل قال لصاحبه مر بى المحصل خمسين مرة فلم أشتر منه إلا ثلاثين فقط ، أى أنه غبى ، وبعد الضحك قد يقول : كل ذلك من باب المزاح يا سيدى ، فأهل الصعيد رجال وفيهم مثقفون ، ورواد نهضة ، منهم طه حسين والعقاد ، والمنفلوطى ، والطهطاوى ، وشيخ الأزهر المراغى ، وذلك بعد أن وبخ الجميع ، وشتم الجميع ، وسخر من الجميع ، وجاء مزاحه على هذا النحو السيء ، الذى شمل المثقفين وغيرهم ، وجاء الحق بعد هذا الطعن باهتا شاحبا بلون الشمس عند الغروب ، وبلون المريض المشرف على الموت .

لدينا زوجات وأزواج ، وأولاد من بنين وبنات ، وتلاميذ ، ومرضى ، ومصلون لا يسلمون من أذى الداعية الذين يتهمهم بالفسوق والخروج على الشريعة ، وتعاليم الدين ، وأن النار مصيرهم لا محالة ، وأن غضب الله ـ عز وجل ـ أقرب إليهم من رضاه وعذابه أقرب إليهم من رحمته .

وجدت كثيرا من الناس ينصرفون من مسجد قريب منهم إلى مسجد بعيد فرارا من لسان الخطيب ، فإن وجد المصلون مسجدا آخر فيه يسمعون طيب الكلام فأين يجد الأزواج والأولاد بيتا آخر غير بيوتهم يفرون إليه من سوء ما يسمعون ويشعرون مما يسبب لهم تلك العلل الظاهرة ، والأخرى الخفية التى لا يعلمها إلا الله ـ عز وجل ـ الذى خلق النفوس وسواها ، وألهمها فجورها وتقواها ، والتى يتجلى أثر النكد فيها إحباطا وتخلفا ، وكسادا ، ورغبة فى الموت

فمن آثار النكد عند بعض الناس الانتحار ، والانتحار فيما أرى أنواع أيضا ؛ فمنه النوع المعروف ، وهو أن يقتل الإنسان نفسه بحديدة ، ونحوها ، أو يرمى بنفسه فى النهر أو البحر ، أو يطلق على نفسه من مسدسه رصاصة ، ومنه كذلك أنواع غير معروفة ، كأن يأكل بإفراط ، أو يشرب المسكر كذلك ، أو يغامر بحياته ، ورأس ماله دون دراسة واعية ، أو أن يعتزل الحياة والأحياء ، وجميع ذلك من الانتحار .

٥- ومن آثار النكد الفرار

وأعنى به فرار القادرين على الفرار من النكد وأصحابه ، هناك أطفال خرجوا ولم يعودوا ، وهناك رجال ونساء كذلك ، وطلاب العلم الذين تسربوا كما ذكرت قبل ذلك .

ومن الناس من يفر بعض الوقت من النكد إلى نكد آخر ، لا يراه نكدا ، وهو فى الحقيقة منتهى النكد ، كان يفر من زوجته النكدية إلى عشيقة تدخل على قلبه المسرة ، وتطعمه ما لذ وطاب ، وتناديه بأحب الألقاب ، وقد يكون بينها ما يغضب الله - عز وجل - وهذا منتهى النكد بلا جدال ، لكنه يظنه نوعا من المواساة ، وضربا من ضروب الترويح عن النفس ،،

هناك رجال كان بوسعهم أن يعيشوا فى بيوتهم ملوكا وسادة مخدومين إلا أنهم يقضون معظم الليالى عند الغوانى فرارا من النكد كما يقولون .

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : "وليسعك بيتك" ، وأول معنى يكتنفه هذا الحديث أن يجد الرجل فى بيته اتساعا لإقامته فيه ، حتى وإن كان غير ذى اتساع ، فالوسع النفسى مهم جدا ، حتى يظل المرء فى بيته ، يعالج ما فيه ، فيضمه ويحتويه ، يصلح فيه من شأن أهله ، ويربى فيه ولده ، ويصلى فيه

النوافل ، ويقرأ فيه ما تيسر من القرآن الكريم حتى لا يكون كالقبر أو كالمكان الخرب ، ويلقى فيه ضيفه ، وأرحامه

ولا يعنى ذلك ألا يهتم بوسعه المكانى ، ليتسع لولده خاصة إذا كبر ، وأراد ان يستقل ، ويحصل علمه ، ويعمل فكره

والنكد يضيق من البيوت الواسعة فضلا عن الضيقة ، كما أن السعادة والسرور يوسعان من المكان الضيق ، فضلا عن الواسع ، ولله در القائل :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

فإذا ضاق الخلق ضاقت الأرض ، وإذا اتسع اتسعت . ألا ترى إلى قول الله عز وجل :

"وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ "

وقوله عز وجل : "وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ".

وكم من أناس ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم بسبب كلمة سيئة .

ومن الفرار فرار لا يقبله ذو مروءة وشرف ، فضلا عن ذوى الدين ، وهو فرار النساء والفتيات إلى حيث البغاء ، والهوى ، والعبث بالأعراض ، فهناك من الذئاب من يدرك تلك المعاناة ، ويصطاد فى الماء العكر ، فيلعب على الواحدة منهن

يسمعها الحلو من الكلام ، والمعسول من القصائد المنكسرة ، والأغنيات الهابطة ، حتى تظنه يعيش فى واد آخر غير واديها ، وأنها سوف تفر إليه من نكد مستطير ، إلى عيش سعيد ناعم ، أنعم من الحرير ، ولو تفكرت قليلا لعلمت أنها تستجير من الرمضاء بالنار ، وأن هذه السعادة وهم ، وهذا الكلام فارغ لا خير وراءه ولا صدق فيه ، وصاحبه من ذات البيئة التى ورثت النكد ، وصناعته ، وأنه إنما يصطنع هذا السبيل الذى يجرها به ، حتى يتمكن منها ، وينال منها غرضه ، فإذا نال هذا الغرض الدنىء نكد عليها ، وعلى أهلها ومن حولها ، وكم نصحت مثل هذه المرأة فقالت بملء الفم والقلب : نار فلان (ذلك الخادع من الذئاب) ولا جنة فلان

عبارة شائعة محفوظة ، وهى حاملة معنى المثل القديم : "كالمستجير من الرمضاء بالنار"

وخلاصة ذلك ، وخلاصة المثل أيضا أن اليائس قد يصل به يأسه إلى يأس جديد ، ويسوقه المر إلى الأمر ، وهو فيه راغب يدفعه إليه شىء من الأمل الضعيف الباهت ، لكنه عنده أفضل من الاستمرار على ما هو عليه

٦- انصراف الناس عن أهل الذكر والعلم

ومن الآثار المترتبة على النكد انصراف الناس عن أهل الذكر والعلم بحق إلى أهل الدجل والشعوذة أو الضعفاء فى تخصصهم ، وذلك من أجل الفرار من النكد الذى يجدونه عند هؤلاء الكبار

وليس أكبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم إنسان ، وكان عنده صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأى ، بل إن اتفاق أهل العلم والسير والتاريخ والسنن على أن أحدا فى مجلسه الشريف لم يكن يشعر بأن غيره أحب إليه منه ، وتلك عبقرية النبوة ، كان صلى الله عليه وسلم ينظر إلى أصحابه نظرة حب واحدة ، بحيث لا يظن أحد أن أحدا أحب إليه صلى الله عليه وسلم منه

فمن ذا الذى تأسى به فى هذا الجانب الذى يدخل منه النكد العظيم على بعض الناس ، الذين يشعرون بازدراء ، واحتقار من خلال نظرة رئيس المجلس أو الداعى إليه ، أو عموده ، فهو ينظر إلى أحدهم بحب جارف ، وينظر إلى آخرين بنظرة دون ذلك بكثير ، حتى الوالد والوالدة ترى الواحد منهم ينظر إلى أولاده بنظرات مختلفة ، فالولد يشعر بأن أباه يحب أخاه أشد من حبه إياه ، فضلا عن شعوره ببغضه إياه

ويطيب لى فى هذا السياق أن أذكر القصة العربية القديمة التى تقول إن رجلا كان تحته زوجتان ، وقد حاولت كل واحدة منهما أن تعرف أيتهما أحب إليه من الأخرى ، ففشلتا فى ذلك ، حتى قالت كل واحدة منهما لفتاه : اسأله هذا السؤال ، وكان الفتى محبا له ، فصارحه بذلك ؛ فقال : اسأل ، وقبل أن يسأله هذا السؤال احتال له ، فأعطى كل واحدة منهما درهما بحيث لا تعلم الأخرى ، وجاء الخادم وسأله :

- أى زوجتيك أحب إليك ؟
- فقال : كلتاهما
- فقال : ناشدتك الله أيتهما أحب إليك ؟
- فقال الرجل : ما دمت قد ناشدتنى بالله ، فالتى أعطيتها الدرهم

فظنت كل واحدة منهما أنها أحب إليه من الأخرى ، لأن كل واحدة أخذت منه درهما.

تلك العبقرية يجب أن تتحقق لدى كثير من الناس ، خصوصا الطبيب الماهر ، والمعلم الناجح ، والخبير بكل فن وحرفة ، أن يتخلص من هذا النكد الموروث حتى يفيد الناس من علمه ، وخبرته ، وقد سئل أحد الثقات عن أحد العلماء الكبار ؛ فقال : هو عالم علامة بلا جدال ، ولكنه ينشر علمه بلا روح . أما فلان فإنه ليس مثله ، وأعلم أنه أقل منه علما ، إلا أن أسلوبه سهل ، وما يقدمه إنما يقدمه بروح .

وقس على ذلك جميع أهل الذكر الذين كسوا أنفسهم برداء النكد ، وسافرت عنهم كلمات طيبة هم أهلوها بلا شك وإن لم تخرج من أفواههم فمن أفواه من تخرج !

ولطالما أدى هذا الفرار إلى نكد آخر بالطبع حيث خسر الفرد ، وخسرت الأمة ، أشبع الفرد هواه إذ اتجه إلى من يريحه ، وهو فى الوقت نفسه يكبده خسائر فادحة ، لكنه يقول : ولو !

نظرا إلى أنه يفر من النكد ، كما يفر من المجذوم فراره من الأسد

فالنصيحة التى تقدمها لهؤلاء الأخيار أن يحسنوا إلى الناس الذين هم فى حاجة إليهم بلا شك ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يتخول الناس بالموعظة خشية السآمة ، فماذا تقول فيمن هو دون رسول الله صلى الله عليه وسلم علما وعملا وخلقا ،،

وقد طلقت زوجة من زوج ميسور الحال بسبب أنه كان ذا نكد عظيم ، يحملها سيئات كل سيئة يمر بها ، والطلاق على كل حال أفضل من حياة كل ما فيها نكد ، وأفضل من الفرار إلى البغاء تحت شعار الزوجية التى تقتضى الوفاء ،

وصون العرض ومال الزوج ، وتزوجت رجلا من بعده كان أقل منه مالا ، إلا أنها عبرت عن سعادة بالغة ، وقالت : إن العيش معه نعيم بحق ، حتى لو أكلنا يوما وصمنا يوما

٧- الموت كمدا

ومن الآثار السيئة للنكد الموت كمدا ، أى حزنا واكتئابا ، ومن الذين ماتوا كمدا سعد الدين التفتازانى العلامة الكبير ، حيث قيلت له جملة واحدة شعر فيها بنقص فى النسب دون مناظره الشريف فمات من ليلته

وقد مات الرجل اليائس من رحمة الله إذ زاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له على المعهود عنه صلى الله عليه وسلم : طهور إن شاء الله ، فقال : طهور ! بل هى حمى تفور على رجل كبير تزيره القبور ، فقال عليه الصلاة والسلام فنعم إذن ، فمات من ليلته

ومن أراد أن يتتبع الذين ماتوا كمدا فسوف يكتب فى ذلك مجلدا كبيرا ، فما أكثر الذين ماتوا إثر موت عزيز لديهم بسبب الكمد الذى نشأ من النكد ، وثقل الهم والحزن على القلب الضعيف ، ،

وأذكر فى هذا السياق أن أحد الصحابة وقف على قبر ولده ، وقال هذه العبارة : لولا أننى أعلم أنى لاحق بك لحزنت عليك أشد من هذا .

وهذه الكلمة خير عزاء ، الذى شرع فى الإسلام لتقوية المصاب بموت عزيز ، أو فقد عضو ، أو خسارة فى تجارة ، وقد قال الصديق رضى الله عنه : لا مصيبة مع العزاء

والعزاء فى الإسلام ليس كلمة تقال ، ولكنه عمل ، أى يكون مع الكلمة عطاء يعين المصاب ، والدليل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : اصنعوا

لآل جعفر طعاما ، فإنهم شغلوا بميتهم ، وقد عزى الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا فقد بصره ، فقدم إليه غلاما يقوده ، وهذا هو العزاء

ولا يخفى على أحد أن الناس فى العزاء الكلامى يبثون النكد فى صدر المصاب ، فكأنهم يعظمون من المصاب ، بدل أن يعزوا ، يقول قائلهم فى ميت المصاب مثلا : كان عينك التى تبصر بها ، ولا أدرى كيف تبصر بعده ، كان الله فى عونك ، وهكذا نرى النكد وراءنا حتى فى الكوارث التى تقتضى العزاء بحق ، والتقوية بجد حتى لا يموت المصاب كمدا ، وحزنا على ما فقد

والدين يدعو إلى الصبر والاحتساب والعزاء كذلك ، ويعالج الكمد بكل طريق ، حيث وعد الله الحق بأن مع العسر يسرا ، قال تعالى : "فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا " ، وقال سبحانه : "لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ "، وقال عز وجل :"وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ"، وقال عز من قائل : " سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ "،،

بل إنه عز وجل يخاطب المسرفين فى الذنوب بقوله تعالى: "قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ"

فلا مدخل للنكد من دين الله عز وجل ، إنما مدخله من الشيطان ، والنفس الأمارة بالسوء ، والثقافة الرديئة الموروثة ، فالدين يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى

وما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، ولم يكلف الله عز وجل نفسا إلا وسعها ، وما أكثر رخص الدين التى ترفع الحرج ، ولا تضيق على الناس ، ومنها قصر الصلاة للمسافرين والإفطار فى رمضان لهم ، وللمريض ، والتيمم إذا فقد الماء أو تعذر استعماله ، أو كان المكلف فى حاجة إليه ، ومنها أن الذى لا يستطيع الصلاة قائما صلى قاعدا أو مضطجعا ، وغير ذلك من الأمور التى تدل على أنه لا مدخل للنكد من أى باب

من أبواب الدين عقيدة ، وعبادة ، ومعاملة ، ألا ترى إلى قول الله عز وجل : "وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"

والراحمون يرحمهم الله ، ومن أنذر معسرا أو عفا عنه أظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ، رواه الأئمة فى الصحاح عن أبى اليسر رضى الله عنه وغيره

ومن لم يستطع سبيلا إلى الحج ، فلا حج عليه ، قال تعالى : "وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " ، ومن لا مال عنده لا زكاة عليه ... وهكذا

ربنا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا ، وصنعنا بأيدينا كدرا فتب علينا ، وارزقنا ثبات القلب على دينك الذى لا نكد فيه ، نسألك من كل خير سألك منه عبدك ورسولك وحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم الذى شرحت صدره ، ووضعت عنه وزره ، الذى أثقل ظهره

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين ، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وصل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أ.د / مبروك عطية

المحتـــوى

الموضـــــــــوع	الصفحة
- المقدمة	٣
الفصل الأول: براءة الإسلام من النكد	٨
"والذى خبث لا يخرج إلا نكدا "	٨
معنى النكد ٩	٩
الإسلام برىء من صناع النكد ١١	١١
الحديث عن السوء ١٤	١٤
حديث السوء ١٧	١٧
استقلال النعمة ٢٠	٢٠
الخبث مصدر النكد ٢٢	٢٢
من كلمة اللسان إلى كلمة اليد ٢٥	٢٥
البخل من أساسيات صناعة النكد ٢٧	٢٧
افرح فى عبك ٣٠	٣٠
العفو دون الصفح ٣٢	٣٢

الموضـــــــــــوع	الصفحة
إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث	٣٤
الدجل وصناعة النكد	٣٦
التشـــاؤم	٣٦
من مظاهر النكد	٤٠
من مظاهر الدجل	٤٥
الفصل الثانى : النكد أسبابه وعلاجه	٥٧
صناعة النكد (الأسباب والعلاج)	٥٨
سوء الفقه فى الدين	٥٨
الفـقـــــر	٦١
بُعد الزوايا الباعثة على البهجة والسعادة	٦٦
تـوهم أن صـانعه قـوى	٦٨
ضعف اليقين بالله عز وجل	٧٣
توقـــع زوال النعـمة	٨٢
الأثـــــــرة	٨٦

الموضـــــــــــوع	الصفحة
شيوع روح الدجل فى المجتمع	٩٠
العشـــــوائية	٩٤
ذاكـــرة الســوء	٩٩
مواجهـة الســوء بالســوء	١٠٥
ادعـــاء عدم السبـب	١٠٨
الفصل الثالث : الآثار المترتبة على صناعة النكد	١١٥
إغضـاب رب العبـاد ورسـوله	١١٦
ســوء العشـرة	١١٧
زرع الريب والظنون فى نفوس الناس	١٢٣
عدم الشعور بلذة النعمة	١٢٦
الأمـــــراض	١٣٥
ومن أثار النكد الفـرار	١٤٢
انصراف النـاس عن أهل الذكر والعلم	١٤٤
المـوت كمـدا	١٤٧